Citizens Electoral Council of Australia

المكتب الرئيسي: 595 Sydney Road, Coburg, Vic, 3058
العنوان البريدي: PO Box 376, Coburg, vic, 3058
الهاتف: 03-9354-0544 **فاكس:** 03-9354-0166
البريد الإلكتروني: cec@cecaust.com.au **الموقع على الانترنيت:** www.cecaust.com.au

22 October, 2002

دعوة مفتوحة إلى البرلمانات العربية والاقتصاديين والناشطين السياسيين في الوطن العربي والمهجر
ساندوا فكرة بناء نظام مالي واقتصادي عالمي جديد كبديل للحرب

مؤتمر بريتون وودز جديد لجمع شمل أمم العالم حول فكرة التنمية والتعاون الاقتصادي والتقدم

إعداد: حسين العسكري
اكتوبر 2002

قد يتساءل سائل لماذا الحديث عن النظام المالي بينما تتحضر الولايات المتحدة وبريطانيا لشن حملة عسكرية ضد العراق وربما غيره من الدول العربية والإسلامية. الجواب هو أن العامل الموضوعي الوحيد الكفيل بوقف التحشيد العسكري للحرب هو حدوث انهيار اقتصادي ومالي شامل في الولايات المتحدة واوربا. أما العامل الذاتي والأهم هو تكاتف محبي السلام والخير في العالم لتحذير الإدارة الأمريكية من مغبة الدخول في مثل هذه المغامرة الجهنمية. لكن من العبث تجاهل السياق الاقتصادي لمجمل الوضع الاستراتيجي في العالم. إن العديد من الأصوات بدأت ترتفع في الولايات المتحدة وبريطانيا مطالبة بوقف الزحف نحو الحرب والالتفات إلى المشاكل الاقتصادية الطاحنة التي تشهدها تلك البلاد وبلاد العالم الأخرى.
إننا بتقديمنا بديلا اقتصاديا إنسانيا للشعب الأمريكي والشعوب الأخرى عبر القارات نتوجه بصوت العقل لإقناع هذه الشعوب بالتفكير في مستقبل الأجيال القادمة في بلادها وبلاد العالم الأخرى ووقف الانسياق وراء مخططات إمبراطورية ظلامية تقودها فئة شاذة تحاول بألاعيبها الشيطانية توجيه الرئيس الأمريكي نحو إغراق العالم في عصر ظلام جديد. كما أننا في ذات الوقت نفضح فيه هذه الفئة وسياساتها ونحاول إيقاف جهودها بكل ما أوتينا من قوة ومعرفة.
من هذا المنطلق، لا بد من التفكير في البدائل لتحقيق السلام، فالسلام هو ليس مجرد حالة "لا حرب" بل وضع تهيأ فيه الظروف المناسبة لانطلاق القدرات الخلاقة للأفراد والجماعات لبناء الحضارة الإنسانية وتحقيق الرخاء لجميع بني البشر. ولا يمكن تحقيق ذلك دون وجود نظام مالي واقتصادي عالمي عادل وجديد.
لذلك فإننا نطلق هذه الحملة في جميع أركان العالم مطالبين كل أصحاب الضمير دراسة الأفكار المطروحة في هذه المبادرة وتبنيها ودعمها والترويج لها. لقد اتخذ البرلمان الإيطالي الخطوة الأولى في هذا الطريق كما هو موضح أدناه، وعلى جميع البرلمانات العربية مؤازرة هذا التوجه خدمة لمصلحة الشعوب العربية وشعوب العالم. ويوجد في الملحقات أدناه جميع تفاصيل المبادرة وكيفية الحصول على المزيد من المعلومات. كما توجد ملحقات متعلقة بدور الدول العربية في هذه المنظومة الجديدة المقترحة وتأثير تلك عليها.

الملحقات:
1. آخر بيان من "اللجنة الخاصة لتأسيس نظام بريتون وودز جديد" صدر يوم 24 سبتمبر 2002.
2. نص المبادرة كما تم تجديدها عام 2002 وتقديمها لبرلمان الاتحاد الأوربي.
3. تقرير عن التصويت في البرلمان الإيطالي لصالح فكرة النظام المالي الجديد.
4. تصريح من عالم الاقتصاد الأمريكي ليندن لاروش يدحض فيه ادعاءات أحد المصرفيين الأمريكيين الذي حاول انتحال الفكرة وتشويهها.
5. مذكرة مفتوحة أرسلت إلى مؤتمر القمة العربي المنعقد بعمان في مارس عام 2001 توضح أهمية هذا المشروع للدول العربية والإسلامية.
6. مذكرة إلى مؤتمر القمة العربي المنعقد ببيروت في مارس عام 2002 توضح خطورة الوضع الاستراتيجي والاقتصادي العالمي بعد أحداث 11 سبتمبر وأهمية تبني استراتيجية عربية موحدة وفق الأفكار المطروحة في المذكرة السابقة.

ملحق رقم 1:
هذا هو نص آخر بيان صادر من "اللجنة الخاصة لتأسيس نظام بريتون وودز جديد" بتاريخ 24 سبتمبر 2002:

Ad Hoc Committee for a New Bretton Woods System
September 24, 2002

قبل ست سنوات تم نشر نداء مفتوح يدعو إلى إنشاء لجنة خاصة لتأسيس نظام بريتون وودز جديد، وقد وقع ذلك النداء 500 عضو برلمان من أكثر من أربعين دولة وعدة مئات من قادة المنظمات المدنية ونقابات العمال والصناعيين وممثلي المنظمات الاجتماعية وكان من بينهم رئيس المكسيك السابق خوسيه لوبيز

بورتيو والرئيس البرازيل السابق هواو بابتيستا فيجوريدو. كان الدافع الأهم لجميع الموقعين هو قلقهم العميق من تأثيرات الأزمة المالية والاقتصادية العالمية. منذ ذلك الحين أثبتت حكومات مجموعة الدول السبعة الصناعية أنها لا تريد التعاطي مع الأزمة المتفاقمة بشكل حاد.

في اللحظة الراهنة دخل النظام المالي والنقدي العالمي في المرحلة النهائية لأزمته البنيوية. فالأرجنتين بدأت تغرق في الفوضى وكل أمريكا اللاتينية تتبعها. واليابان تهوي أكثر فأكثر نحو الكساد، وبنك اليابان المركزي يقوم بشراء أسهم البنوك اليابانية في سوق الأوراق المالية حتى يؤجل إفلاسها وبالتالي انهيار النظام العالمي بشكل تام. لقد انفجرت فقاعة "الاقتصاد الجديد" وقوضت دعائم النموذج الاقتصادي الأمريكي بسبب أزمة وبنوك كبرى بأكملها معرضة للإفلاس، أما الديون في العالم فقد أصبحت غير قابلة للسداد، والبلديات في مختلف البلدان أصبحت مفلسة، وفقاعات أخرى على وشك الانفجار.

إذا تم علاوة على ذلك في هذه الظروف شن حرب على العراق، وهي حرب ستكون لها عواقب ليست في الحسبان بالنسبة للوضع الاستراتيجي والاقتصادي للعالم، فستكون البشرية جمعاء مهددة حقا بكارثة وانحطاط سريع نحو هاوية عصر مظلم جديد.

لهذا السبب فإنه من الضروري وبشكل عاجل أن يتم تغيير أجندة السياسة العالمية.

إننا، نحن الموقعون أدناه، نطالب بشكل عاجل عقد مؤتمر طارئ على طريقة الرئيس فرانكلن ديلانو روزفيلت ومؤتمر بريتون وودز المنعقد عام 1944. يجب أن يكون هدف هذا المؤتمر هو خلق نظام نقدي ومالي عالمي جديد مثل الذي اقترحه المرشح لانتخابات الرئاسة الأمريكية المقبلة ليندن لاروش، لاستبدال تلك الآليات التي أدت إلى تدمير القدرات الصناعية الانتاجية وأدت إلى وجود فقاعة المضاربات، بآليات جديدة تجعل النمو الاقتصادي والعمالة المنتجة الكاملة في كل أرجاء العالم أمرا ممكنا.

كما يجب إلغاء جزء كبير من الديون العالمية لأنها غير قابلة للدفع لا من قبل ما يسمى دول العالم الثالث ولا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ولا من قبل بلديات مثل بلدية برلين. كما يجب إلغاء جميع انواع المضاربات في العقود الآجلة (derivatives) بشكل كلي. كما أننا نحتاج أسعار صرف ثابتة للعملات حتى تكون الاستثمارات طويلة الأجل ممكنة من جديد. كما أننا بحاجة إلى بنك وطني في كل بلد على نموذج "مؤسسة الاعتمادات لإعادة الإعمار" الألمانية (Kreditanstalt fuer Wiederaufbau) من أجل إصدار الاعتمادات لعملية إعادة بناء الاقتصاد.

فعوضا عن سياسة حرب مستمرة دون خطة سلام، نحتاج إلى منظور اقتصادي لضمان السلام العالمي. إن بناء الجسر البري الأوربي الآسيوي (الاوراسيوي – طريق الحرير الجديد) كمرتكز أساسي لخطة إعادة بناء للاقتصاد العالمي لن يكون مجرد وسيلة للتغلب على البطالة والأزمة الاقتصادية بل يمثل أيضا مصلحة مشترك لجميع الأمم المشاركة. لهذا السبب فإن الجسر البري الاوراسيوي باعتباره مفهوما ماديا ملموسا لنظام عالمي اقتصادي عادل، هو في ذات الوقت رؤية حقيقة للسلام.

إذا استمرت التطورات الحالية من انهيار مالي وتحرك نحو الحرب فإن كارثة قادمة لا محالة. لهذا، فلنغير أجندة السياسة العالمية قبل فوات الأوان.

أول الموقعين

Hrant Khachatrian, member of Armenian parliament, President of Union of Constitutional Rights Party
هرانت كاشاتريان، عضو البرلمان الأرميني، رئيس حزب اتحاد الحقوق الدستورية

Haik Babookian, member of Armenian parliament
هايك بابوكيان، عضو البرلمان الأرميني

Prof. Dr. Tatyana Koryagina, economist, Moscow.
البروفيسورة د. تاتيانا كورياجينا، عالمة اقتصاد، موسكو

Dr. Nino Galloni, economist, Rome
الدكتور نينو جالوني، عالم اقتصاد، روما

Helga Zepp-LaRouche, President, Schiller Institute
هيلجا تسيب لاروش، رئيسة معهد شيللر العالمي، ألمانيا

على جميع الراغبين بإضافة تواقيعهم إلى هذه القائمة الاتصال بالعناوين أعلاه
***

ملحق رقم 2:
نص المبادرة كما تم تجديدها عام 2002 وتقديمها لبرلمان الاتحاد الأوربي. أطلقت المبادرة لأول مرة عام 1996.

Ad Hoc Committee for a New Bretton Woods
اللجنة الخاصة لتأسيس نظام بريتون وودز جديد
6 أبريل (نيسان)2000

لقد برهنت حكومات مجموعة الدول السبع الصناعية G - 7 مراراً على عدم رغبتها وعدم قدرتها على تفادي خطر الانهيار الداهم للنظام المالي العالمي عن طريق عملية إعادة تنظيم عاجلة وشاملة لهذا النظام. لذا فقد اصبح من دواعي الضرورة القصوى أن يقوم أفراد من جميع دول العالم برفع أصواتهم إدراكاً منهم لما قد تتسبب به أزمة مالية بنيوية من نتائج مدمرة.

إننا، نحن الموقعون ادناه، نشير إلى السيد ليندون لاروش Lyndon LaRouche باعتباره عالم الاقتصاد المعروف عالمياً على انه هو الذي حلل مسببات الأزمة البنيوية تحليلاً عميقاً جداً ولفترة طويلة، كما أنه قام في ذات الوقت بتطوير وتفصيل مجموعة متكاملة من الإجراءات التي يجب الأخذ بها للتغلب على هذه الأزمة، وهذه الإجراءات هي برنامج مضاد للأزمة باسم بريتون وودز جديد.

ونود أن ننوه هنا إلى المبادرة التي تبناها بعض أعضاء البرلمان الأوربي مؤخراً والتي تنص على ما يلي:

- حيث أن آليات اتفاقية بريتون وودز المبرمة عام 1944 ساهمت في تحقيق الاستقرار النقدي وفي عملية إعادة الإعمار الاقتصادي بعد الحرب العالمية؛
- وحيث أن هنالك تنافراً ما بين الاقتصاد الفعلي والاقتصاد المالي منذ فك الارتباط بين الدولار ونظام احتياطي الذهب؛وحيث أن الأزمات المالية قد تفجرت في أجزاء مختلفة من العالم منذ عام 1997؛
- وحيث أن المؤسسات المالية والنقدية الدولية قد بينت قصورها أثناء أدائها لمهماتها؛
- وحيث انه اصبح من الثابت أن "فقاعة المضاربات" قد تركت آثاراً مدمرة على اقتصاديات الدول النامية، مؤدية بذلك إلى تغيير كلي في هياكل الاقتصاد العالمي، وأنها (أي الفقاعة) قد بلغت مستوى 400 ترليون دولار مقارنة بإجمالي الناتج المحلي لجميع دول العالم مجتمعة والمقدرة بـ 40 ترليون دولار؛
فإن البرلمان الأوربي يدعو المفوضية الأوربية إلى:

أ) تقديم اقتراح لعقد مؤتمر جديد مشابه لذاك الذي عقد في بريتون وودز بهدف خلق نظام نقدي دولي جديد للقضاء تدريجياً على الآليات التي أدت إلى نشوء "فقاعة المضاربات"؛
ب) تقييم إمكانية إرساء قيم العملات على أساس عنصر إسناد حقيقي، وتحسين السيطرة بشكل كامل على حركة أسعار صرف العملات.
ج) اقتراح إصدار اعتمادات جديدة موجهة نحو تطوير الاستثمارات في قطاعات الاقتصاد الحقيقي، وتحديد مشاريع بنية تحتية ذات نطاق قاري.

إن القضية العبثية الأشد خطورة في الوضع الحالي تكمن في أن البيت الأبيض في الولايات المتحدة وأعضاء حكومات الاتحاد الأوربي يكيلون المديح لما يسمى "الاقتصاد الجديد" ويمجدونه باعتباره نجاحاً باهراً، في ذات الوقت الذي نرى فيه أن الفقاعة المالية الناتجة عن هذه الخرافة قد بدأت تنفجر!
إن "العولمة" التي زعم أنها تهدف إلى تقوية نمو الاقتصاد العالمي، قد بانت على حقيقتها وثبت أنها شكل من أشكال الرأسمالية المفترسة وقد أطلق لها العنان، مؤدية إلى توسيع الهوة ما بين السندات المالية والاقتصاد الفعلي من جهة وبين الأغنياء والفقراء من جهة بشكل لا يمكن السكوت عليه، لا على المستوى الوطني ولا الدولي. وبعد الأخذ بعين الاعتبار الأزمة البنيوية المتسارعة، فقد قررنا نحن الموقعون تشكيل "اللجنة الخاصة لتأسيس بريتون وودز جديد".

***

ملحق رقم 3:
تقرير عن التصويت في البرلمان الإيطالي لصالح فكرة النظام المالي الجديد.

صوت مجلس النواب البرلمان الإيطالي يوم 25 سبتمبر 2002 بالإجماع لصالح قرار يطالب الحكومة الإيطالية حث الدول الصناعية الأخرى على إعادة النظر في مجمل النظام المالي العالمي وتأسيس "بنية (هندسية) مالية جديدة قادرة على دعم الاقتصاد الحقيقي وتفادي الفقاعات والانهيارات المالية" في الأسواق العالمية. تأتي أهمية هذا القرار من كون إيطاليا إحدى الدول السبع الصناعية في العالم التي اجتمع وزراء ماليتها بعد أيام فقط من هذا التصويت، كما أن التصويت قد حصل في ذات اليوم الذي شهد فيه البرلمان الإيطالي مناقشات مطولة حول الوضع في العراق والخطط الأمريكية لمهاجمته، مما جعل العديدين يربطون بين الخطط الحربية الأمريكية والأزمة الاقتصادية والمالية التي تعيشها الولايات المتحدة والدول الصناعية بشكل عام.
جاء هذا القرار في سياق النقاش في البرلمان الإيطالي حول الأزمة المالية والاقتصادية المتفاقمة في إيطاليا. لكنه يشدد على أن تلك الأزمة هي ليست أزمة الاقتصاد الإيطالي بل كل النظام المالي العالمي الذي تحول منذ منتصف التسعينات إلى كازينو مضاربات دولي. وجاء نص القرار النهائي كنتيجة لسلسلة من الاقتراحات البرلمانية التي روج لها أنصار الحركة السياسية التي يقودها عالم الاقتصاد الأمريكي والمرشح لانتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة ليندن لاروش في إيطاليا. وبالرغم من أن صيغة القرار تم تعديلها بشكل ملحوظ حتى تحضا بدعم جميع الأحزاب اليسارية منها واليمينية في البرلمان (وخاصة بعد ضغوط

يبدو أنها خارجية هدفت إلى إلغاء مشروع القرار)، لكنها أداة ممتازة لتنظيم قرارات مماثلة في بلدان أخرى وتشكيل ائتلاف عالمي من أجل عقد "مؤتمر بريتون وودز" الجديد الذي اقترحه لاروش.

وقد بدء مشروع القرار هذا كاقتراح برلماني حول الأزمة الاقتصادية في الأرجنتين كتبه رئيس حركة لاروش في إيطاليا باولو ريموندي والباحث الاقتصادي نينو جالوني مدير عام وزارة الرفاهية الإيطالية. وتم تقديم مشروع القرار الأصلي إلى مجلس الشيوخ في شهر مارس الماضي من قبل السيناتور أوسكار بيتيرليني، وتبنى القرار في مجلس النواب النائب سيجفريد بروجير. وكان واضحا من عملية جمع تواقيع الدعم من أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب بأن القرار سيحصل على إجماع من أحزاب اليمين واليسار، وكان من أبرز الموقعين رئيس الوزراء السابق جوليو أندريوتي. القرار المهم السابق الذي تم التصويت عليه بمثل هذا الإجماع هو قرار إلغاء أحادي الجانب من قبل إيطاليا لديون الدول الأكثر فقرا وجاء ذلك القرار استجابة لدعوة من البابا يوحنا بولص الثاني والكنيسة الكاثوليكية بمناسبة حلول الألفية الثانية.

إن الأرجنتين بلد مهم بالنسبة لإيطاليا، وللإيطاليين صلات تاريخية واقتصادية مهمة، حيث هاجر الآلاف إليها في العشرينات من القرن الماضي. ويستثمر الإيطاليون عشرات المليارات الدولارات في ذلك البلد.

لكن مع ذلك، ومع بدء المناقشات يوم 23 سبتمبر قبل التصويت على القرار الأخير ذكر النائب بروجير بأن "الأزمة في الأرجنتين لا تخص الأرجنتين فحسب، بل كل دول أمريكا اللاتينية حيث قادت سياسات صندوق النقد الدولي كل من البرازيل والمكسيك إلى حافة الانهيار مثل الأرجنتين، ومثلها مثل بلدان أخرى مثل تركيا أو حتى بولندا. هذا يبرهن بقوة على أن هذه هي أزمة كل النظام وهو ما يؤكده بشكل ملموس ما يحصل في الولايات المتحدة واليابان وأوربا. لذلك فإن حل المشكلة الأرجنتينية يمكن أن يحصل فقط سياق إعادة توجيه كلية نحو الإنتاج وإعادة تنظيم النظام الاقتصادي والمالي العالمي." وطالب بروجير الحكومة الإيطالية بضرورة إلغاء الديون الخارجية وتنشيط استثمارات جديدة في مجال التنمية الاقتصادية الحقيقية. كما طالب الحكومة "بالعمل الجاد في كل المحافل العالمية للمطالبة بإعادة النظر كليا في دور وسياسات صندوق النقد الدولي والعمل بشكل خاص على إطلاق مبادرة لعقد مؤتمر عالمي جديد يحضره قادة الدول كما حصل في مؤتمر بريتون وودز في عام 1944 من أجل تأسيس نظام مالي عالمي جديد، والقضاء على الآليات التي خلقت الفقاعة المضاربية والانهيار المالي الشامل الحالي، والبدء بإعداد برامج إعادة بناء الاقتصاد العالمي."

وقد دعم بروجير في مطالبه المتحدث باسم السياسات الخارجية الاقتصادية للحزب الاشتراكي الديمقراطي جيورجيو بينفينوتو الذي كان يشغل منصب رئيس اللجنة المصرفية لمجلس النواب. كما دعم نائب الوزير للشؤون الخارجية الإيطالي ماريو باكيني وهو من الحزب الديمقراطي المسيحي أفكار بروجير.

في جلسة المناقشة التالية تم تغيير الصياغة اللغوية للنص الأصلي وتم استخدام عبارات أضعف من النص الأصلي للقرار الذي تم اقتراحه من قبل. فبدلا من عبارة "عقد مؤتمر دولي جديد على مستوى قادة الدول، شبيه بالمؤتمر الذي عقد في بريتون وودز في عام 1944" تم استخدام عبارة "بذل الجهود في كافة المحافل العالمية المهمة لدراسة واقتراح بنية (هندسة) مالية جديدة."

لكن قبل التصويت على النص الجديد، شدد عدد من المتحدثين على أن النموذج المطلوب لتلك البنية المالية الجديدة هي نموذج بريتون وودز بالذات. في هذه النقطة بالذات نبه النائب جيوفاني بيانكي المتحدث باسم مجموعة مارغيريتا من يسار الوسط أعضاء المجلس بدور لاروش في إطلاق هذه المبادرة، وقال: "ليس مصادفة أن نتحدث اليوم عن بريتون وودز. إنني أعتقد أننا في فوضى واضحة والمطلوب شيء من النظام. يجب علينا أن لا نترك شخصية معزولة ومتنبئة مثل ليندن لاروش، الذي توقع مصير هذه الفقاعة، أن يقوم بتحمل هذه القضية لوحده. إنني أعتقد أن مصير الأرجنتين وإيطاليا معا يكمن في هذه المسألة العالمية، وباعتقادي أن هذا القرار هو خطوة في الطريق إلى التعامل مع الأزمة."

ويبدأ نص القرار الجديد الذي صادق عليه البرلمان الإيطالي في 25 سبتمبر بالمقدمة التالية: "إن تصاعد حدة الأزمة المصرفية والمالية... بدءا من أزمة عام 1997 في آسيا وروسيا وأمريكا اللاتينية، وإلى الانهيار الأخير للاقتصاد الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية وإلى الأزمة المصرفية العملاقة في اليابان حاليا وإفلاس الأرجنتين... لا يزيد شعوب العالم والطبقات الحاكمة والمستثمرين وحاملي المدخرات إلا قلقا من كون هذه الأزمات ليست أزمات معزولة بل أعراض أزمة لكل النظام المالي الذي يتميز بالمضاربات التي وصلت كميتها إلى 400,000 مليار دولار (140,000 مليار منها في الولايات المتحدة فقط) مقارنة بإجمالي الناتج المحلي لكل دول العالم المقدر بحوالي 40,000 مليار دولار (وهذه الفجوة ازدادت اتساعا في السنين الأخيرة)".

وبعد ذلك يتطرق القرار إلى مجموعة من المسائل التي تخص الأزمة في الأرجنتين والإجراءات الواجب على الحكومة الإيطالية اتخاذها في هذا الشأن، ومن ضمنها العمل على طرح مبادرة اقتراح نظام بديل للنظام الحالي.

***

ملحق رقم 4:

تصريح من عالم الاقتصاد الأمريكي ليندن لاروش يدحض فيه ادعاءات أحد المصرفيين الأمريكيين الذي حاول انتحال الفكرة وتشويهها.

Lyndon LaRouche: Rohatyn Must Not Duck the Issue

بيان من المرشح للانتخابات الأمريكية لعام 2004 ليندن لاروش
حول اقتراح فيليكس روهاتين "عقد مؤتمر بريتون وودز جديد"
الجمعة 24 أغسطس 2001

ارتبطت في السنين الأخيرة جميع الاقتراحات الجادة عالميا لعقد "مؤتمر بريتون وودز جديد" باسمي أنا شخصيا. وقد بدأت مؤسسات العديد من الحكومات باتخاذ التدابير الأولية لتوسيع النقاش حول اقتراحاتي وتبنيها.

والآن يطل علينا فيليكس روهاتين مدعيا انه يقترح عقد "مؤتمر بريتون وودز جديد"، لكنه لا يشير إطلاقا الى الاقتراح الموجود أصلاً بذات الاسم على الاجندة الدولية. السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل يدعي فيليكس انه هو الذي اخترع العجلة، أم انه ينوي التلميح الى انه يريد دعم الاقتراح الموجود من قبل على الطاولة، الاقتراح الذي أصبح مشهوراً عالميا بسببي و بفضل مجموعات من البرلمانيين المنتخبين الذين عمموا مشاريع قوانين في برلماناتهم دعماً لاقتراحي؟ لذلك فالسؤال الملح والعاجل هو: هل سيقبل هو بتعريفي أنا (لهذا الاقتراح)، أم أن الهدف من تصريحه هو مجرد خدعة دلفية (نسبة الى كهنة معبد دلفي) جديدة لاستغفال الناس السذج؟

بما أن النظام المالي العالمي يشهد عملية تفكك حالياً, فإن قضية كون فيليكس يريد أن يدعم اقتراحي أنا، أم يعني شيئاً آخر يجب أن يتم توضيحها بسرعة وبشك عاجل. فليس من الممكن أن يوجد عندنا صنفان من الطب تحت نفس المسمى، فأحدهما علاجي والآخر سم زعاف. لذلك، على فيليكس أن يرد علناً على التحدي الذي افرضه عليه في هذا الأمر.

1- حقيقة: لقد بدأ مصطلح "بريتون وودز جديد" يفهم في الأوساط الرسمية وغيرها من الدوائر السياسية عالمياً على انه عملية استبدال نظام صندوق النقد الدولي الحالي المدمر والظالم بقسوة والفاشل في ذات الوقت. ما يعنيه النظام النقدي العالمي الفاشل حالياً هو التحول من الصيغة الأصلية الحمائية من صيغ النظام النقدي ذي أسعار الصرف الثابتة إلى نظام الصرف العائم الذي تم تقديمه في أغسطس عام 1971. لذلك، فإن ما يعنيه اقتراح "بريتون وودز جديد" هو التخلي عن النظام العاجز الحالي والتوجه نحو بناء نظام جديد مبني على أساس نظام بريتون وودز السابق (المؤسس في عام 1944) الذي كان يعمل بشكل جيد جدا برغم المساوئ التي كانت موجودة فيه.

2- سؤال: هل يقبل فيليكس روهاتين بهذا التعريف المقبول على نطاق واسع لمصطلح "بريتون وودز جديد"؟ إذا كان الجواب بالإيجاب، فإن عليه التصريح بذلك علناً. أما إذا كان الجواب لا، فإن عليه تغيير عنوان اقتراحه لتلافي تضليل الجمهور. (لأن هذا قد يعرضه للمحاسبة بتهمة الانتحال).

3- حقيقة: خلال المدة بين عامي 1995- 2000، خسر المستثمرون الأمريكيون لوحدهم ترليونات الدولارات في واحدة من اعظم عمليات الاحتيال المالية الهرمية في التاريخ الحديث وهي المسماة فقاعة "الاقتصاد الجديد". وقد استمر العديدون من القادة القوميين وبضمنهم مرشحين أساسيين للرئاسة الأمريكية بتشجيع وتسويق عملية الاحتيال المتمثلة "بالاقتصاد الجديد" حتى نهاية حملة انتخابات الرئاسة عام 2000 . ومنذ اليوم الذي تولى فيه جورج دبليو بوش مقاليد الرئاسة انفجرت فقاعة "الاقتصاد الجديد" وخسر المستثمرون الذين تم استغفالهم للاستثمار فيها الترليونات من الدولارات، كما انهار دور الولايات المتحدة باعتبارها "الملاذ الأخير للصادرات".

4- سؤال: من سنين عدة وأنا أحذر المستثمرين وغيرهم عالميا من مخاطر هذه الفقاعة المالية وغيرها من الأخطاء الفادحة ذات العلاقة التي ارتكبتها حكومتنا وحكومات أخرى. متى اصدر الخبير المالي فيليكس روهاتين لأول مرة تحذيراً علنياً ضد هذه الخديعة الكبرى؟ وهل نبه المرشح الديمقراطي آل غور علنا الى ضرورة التوقف عن تضليل الرأي العام حول هذه القضية؟ وهل أعلن في يوم من الأيام عن دعمه الصريح والعلني لتحذيراتي الخاصة بهذه القضية في وقت ربما كان دعمه لي قد ساعد في منع الملايين من الأمريكان من الوقوع في فخ الاستثمار في تلك الفقاعة؟ والآن، وقد فضحت أكذوبة "الاقتصاد الجديد" نفسها، فإن اكبر أزمة مالية في الولايات المتحدة اليوم هي وجود فقاعة عقارات هائلة يتم بناءها بحجة توليد الاعتمادات الاستهلاكية، لكن غرضها الأعمق والأكثر ظلاما هو تضخيم قيم العقارات مؤقتاً للتغطية على الإحراج المتوقع الذي ستعاني منه بعض أكبر البنوك. كانت هذه الحقيقة معروفة جيداً بين أوساط الخبراء الماليين من وزن فيليكس روهاتين منذ أيام حملة انتخابات عام 2000 .

5- حقيقة: منذ تنصيب الرئيس جيمي كارتر رئيساً للولايات المتحدة، شهدت الاقتصاد الأمريكي عملية انهيار نصيب شريحة الثمانين في المائة الدنيا من المواطنين الأمريكان من الدخل القومي. وبالتوازي مع انهيار البنية التحتية الأساسية الأمريكية المنهوبة والمهملة، وعملية نهب القدرات الإنتاجية المادية لأمتنا عن طريق تصدير الوظائف الأمريكية الى أسواق العمالة الرخيصة، أنتجت السياسات الأمريكية تحت نظام النقد ذو سعر الصرف العائم من عام 1971 إلى 2001 عملية انهيار متسارعة للقدرات الإنتاجية المادية ومستوى الرفاهية للولايات المتحدة وشعبها، خاصة للأسر التي يقع دخلها ضمن شريحة الثمانين بالمائة السفلى من السكان.

6- سؤال: هل يقر فيليكس روهاتين بهذه الحقائق؟ وهل يقر بأن اقتصاد الولايات المتحدة والعالم قد عانى من تراكم عدة تغيرات في السياسات، مبتعدا من السياسات السائدة في الفترة من عام 1945 إلى 1963، وهذه التغيرات قد أثبتت أنها كانت حماقات منظمة؟ هل يقر بالحاجة الى العودة الى نمط صنع القرار الذي ميز فترة رئاسة فرانكلن روزفلت وممارسات الولايات المتحدة ما بعد الحرب العالمية والى ما قبل حملة رتشارد نكسون العنصرية المسماة "الستراتيجية الجنوبية" في الأعوام 1966- 1968 ؟ هل أن فيليكس مستعد للاعتراف والتصريح علناً أن علينا أن نصلح الأمور التي أضلت القيادات الأمريكية في فترة ما بعد عام 1966 و ما حصل أثناء رئاسة نكسون و كارتر؟

7- حقيقة: إن فيليكس روهاتين مطلع بشكل جيد ولديه الذكاء الكافي، بخلاف ما لدى قيادات الولايات المتحدة الرسمية اليوم، ليعرف أن هنالك مميزات خاصة لطبيعة عمل نظام بريتون وودز الأصلي بين عامي 1945 - 1963 وأن هذه المميزات كانت أساسية في عملية إعادة اعمار وتنمية اقتصاديات الولايات المتحدة وأوروبا الغربية وأماكن أخرى. ولنا أن نكون واثقين من انه يعرف أن هذه المميزات تتضمن نظاماً حكومياً لتثبيت أسعار الصرف، الذي بدونه كان يستحيل الدفاع عن أسعار فائدة منخفضة على قروض واستثمارات دولية متوسطة وطويلة الأجل. ولنا أن نكون واثقين انه يعرف أنه كان سيستحيل الدفاع عن عملية خلق كل تلك الكمية من الاعتمادات العامة وغيرها بدون نظام مهيكل لا غنى عنه للاستثمارات طويلة الأجل في مجال البنية التحتية الأساسية والمنتجات الرأسمالية الداخلة في الزراعة والصناعة والإسكان والبنية التحتية الحضرية عموما. ولنا أن نكون واثقين انه يعرف أن تلك الإجراءات تضمنت أشكالا حمائية من التعريفة والحماية التجارية للاستثمارات الإنتاجية متوسطة وطويلة الأمد، بالإضافة الى ضوابط على حركة رؤوس الأموال وأسعار الصرف. ولنا أن نكون واثقين من انه يعرف أن إعادة العمل بهذه الإجراءات لا غنى عنه لإنقاذ وإعادة تأهيل النظام النقدي والمالي العالمي من الانهيار المتسلسل المحتم.

8- سؤال: هل هو مستعد للتصريح علناً عن التزامه بإعادة العمل بهذه الخصائص كأساس يمكن بناء نظام بريتون وودز جديد عليه من البداية؟

9- حقيقة: إن المصدر المتين الوحيد للربحية في أي اقتصاد وطني يأتي من توظيف اليد العاملة في مجال التقدم العلمي والتكنولوجي وصيغ من العمل ذات كثافة طاقة وكثافة رأسمالية متزايدين. عدا ذلك، فإن توليد أية نسبة ظاهرية من الأرباح في الاقتصاد الوطني سيأتي حتماً عن طريق نهب الثروات الطبيعية الموجودة أصلاً أو من الأرباح المالية المتخيلة تماما من النوع المرتبط بفقاعة أسواق الأسهم والعقارات السابقة والحالية. إن أزمة الطاقة الحالية في الولايات المتحدة وأزمة الرعاية الصحية المتنامية فيها وعجز ميزان المدفوعات الجاري هي مجرد أعراض مميزة للعواقب التي لا بد أن تأتي نتيجة محاولة استبدال اقتصاد "الياقات الزرقاء" الإنتاجي القديم وإحلال الصيغ المختلفة من "الاقتصاد ما بعد الصناعي" بدله. ومن المستحيل أن يكون فيليكس روهاتين جاهلاً بذلك.

10- سؤال: هل سيقولها؟

بخلاف ذلك، أعتقد أن فيليكس روهاتين لن يكون لديه أي اعتراض شكلي على العناصر التالية من اقتراحي إجراءات طارئة عاجلة كما وضحت ذلك في خطابي الأخير أمام جمعية المحاسبين المكسيكية.

من الواضح بالنسبة لي ولعدد مهم من الأشخاص في أمم عديدة أن هناك ثلاث خطوات رئيسية يجب السير عليها لخلق هذه الصيغة الجديدة من نظام بريتون وودز.

أولا: يجب أن تكون هنالك نقاشات مكثفة حول الشروط المطلوبة لنظام بريتون وودز الجديد بين أولئك الذين لديهم الكفاءة المهنية لكي يناقشوا النواحي التقنية لصنع السياسات القومية والعالمية. فليس على هذه الجهات تصميم مجموعة المواصفات التي سيكون تبنيها هو الأساس المطلق لنجاح المهمة، بل وعليهم أيضاً أن يميزوا بين المتطلبات التي لا تقبل المساومة وتلك الخيارات التي المتوفرة لدى المؤسسات السياسية التي سيتوجب عليها تبني مسودة إصلاحات نظام بريتون وودز الجديد.

ثانياً: تقع على عاتق هذه المجموعة الأولى مسؤولية تعليم وإرشاد المؤسسات السياسية ذات العلاقة التي ليس لديها اليوم أية كفاءات تذكر في الجوانب التقنية لهذه الأمور. يجب وضع القضية على الطاولة بحيث يتم وضع الساسة أو الجهات السياسية المسؤولة ذات العلاقة في صورة الخيارات المتوفرة بصورة واضحة، بينما يتم التشديد على النواحي التي لا يمكن المساومة في تطبيقها إذا أردنا للنظام الجديد أن لا ينهار من البداية.

ثالثا: يجب أن تسير بالتوازي مع هذه الإجراءات عملية إعادة تعليم نشيطة وعلاجية للرأي العام في مبادئ الاختلاف بين النظام الفاشل الحالي الذي يتهاوى من حولهم وبين مبادئ النظام الجديد الذي يجب عليهم دعمه، والذي عليهم أن يجدوا فيه فرصتهم للمساهمة الإنتاجية.

لنتخلص من الأكاذيب والتحريفات وغيرها من الدعايات الدلفية، ونقدم بعض الأجوبة الواضحة عن جوهر الحقائق والأسئلة التي طرحتها هنا على فيليكس روهاتين.

{{{{نهاية تصريح لاروش }}}}

ملاحظة:
نشر فيليكس روهاتين Felix Rohatyn مقالاً في جريدة "فاينانشال تايمز" اللندنية يوم 18 أغسطس 2001 ، طالب فيه الرئيس الامريكي جورج بوش بضرورة الدعوة الى "عقد مؤتمر بريتون وودز جديد" يتباحث فيه قادة العالم حول صيغة لحل الأزمة المالية والاقتصادية العالمية. وهي نفس الصيغة التي يستخدمها ليندون لاروش. لكن بطريقة ولغرض مختلفين تماما.

فيليكس روهاتين هو أحد أكبر خبراء الاستثمارات في الولايات المتحدة وأوربا. ويرتبط عمليا بالمجموعة الاستثمارية "لازارد فريريس" النافذة في نيويورك ولندن، التي لها حصة من صنع القرار في صحيفة "واشنطن بوست". كما انه كان سفير الولايات المتحدة الى فرنسا أثناء إدارة كلنتون، وله دور كبير في أوساط الحزب الديمقراطي التي تحاول إبعاد نفوذ لاروش عن الحزب. وليس خاف أن روهاتين يعرف لاروش تمام المعرفة، إذ دخل في صدامات سياسية معه منذ بداية السبعينات حينما كان يحاول لاروش ومناصروه إنقاذ مدينة نيويورك من أزمة ديونها عام 1975 عن طريق حث إدارة المدينة تعليق تلك الديون والاستثمار في الخدمات العامة للمدينة عوضاً عن ذلك، بينما كان يريد روهاتين الذي أصبح رئيساً لمجموعة مالية سيطرت على السياسة في المدينة، فرض سياسة تقشف قاسية جداً وإجبارها على تقليص الإنفاق على الخدمات العامة من أجل دفع الديون، أو الرضوخ لشروط بنوك وول ستريت الدائنة. نفس الصراع الذي خاضته دول العالم الفقيرة ضد البنوك العالمية منذ السبعينات.

وفي ذات الوقت يرتبط بعلاقة حميمة مع عدو لاروش اللدود هنري كيسنجر الذي طالما حث مكتب المباحث الفدرالي في رسائل رسمية مطاردة لاروش وأنصاره. وليس مستغرباً أن يكون روهاتين هو كاتب أحد فصول كتاب هنري كيسنجر الأخير Does America Need a Foreign Policy وهو الفصل الذي يعرب فيه عن هلعه من انهيار النظام المالي الذي تسيطر عليه المصالح المالية والمصرفية الأنجلوأمريكية ومصدر قوتها في العالم.

***

ملحق رقم 5:

مذكرة مفتوحة إلى مؤتمر القمة العربي في عمان مارس 2001
مقترحات لسياسة اقتصادية عربية موحدة في سياق نظام عالمي وطريق حرير جديدين.

فرض آخر العام 2000 ظروفاً غير اعتيادية على الدول العربية نتيجة لعدة تطورات، كان أهمها اندلاع انتفاضة الأقصى وتدهور عملية السلام الى حد التوقف الكلي وتهديد المنطقة بحرب جديدة. وأدى ارتفاع أسعار النفط الى حد تاريخي الى أزمة أسعار طاقة في الغرب. وقد تزامن ذلك مع زيادة كبيرة في قيمة الدولار الأمريكي مما أنعش ميزانيات الدول المصدرة للنفط. ثم انعقدت القمة العربية في القاهرة في أكتوبر على خلفية انتفاضة الأقصى. وكانت تلك فاتحة مهمة لعودة التضامن العربي. وقد اتخذت القمة عدة قرارات لدعم الانتفاضة وتوحيد السياسة العربية تجاه إسرائيل. وورد في البيان الختامي للقمة موضوع مهم يتعلق بالتعاون الاقتصادي العربي.

لا يمكن، بنظرنا، أن يكسب العرب احترام العالم لمجرد انهم يملكون اكبر خزين للنفط. فالدول العربية لا تزال تصنف ضمن دول العالم غير المتقدمة وحجم التبادل التجاري (غير النفطي) بينها وبين العالم الغربي واسيا لم يصل الى الحجم الذي يستدعي من الولايات المتحدة وأوربا اخذ المطالب السياسية العربية مأخذ الجد.

وقد برز الى السطح - بعد إبرام العراق اتفاقيات تجارة حرة كبرى مع كل من مصر وسوريا ووصول أريل شارون الى الحكم في إسرائيل وبعد القصف الانجلو- أمريكي لبغداد في شهر فبراير - واقع جديد لا يمكن للدول العربية فيه التعايش مجدداً مع عدوان جديد ضد العراق واستمرار العقوبات الاقتصادية القاتلة عليه. لذلك سيصبح (أو ينبغي أن يصبح) موضوع التعاون الاقتصادي العربي وتوحيد الهياكل الاقتصادية الأساسية العربية من الأولويات في القمة العربية القادمة في عمان وما بعدها.

نطرح هنا مجموعة أفكار واقتراحات دأبت مؤسستنا (إكسكتف إنتلجنس ريفيو) ومؤسسها عالم الاقتصاد الأمريكي ليندون لاروش على الترويج لها في مختلف الأقاليم والتكتلات الاقتصادية الدولية. وهذه الأفكار تتلخص في تأسيس نظام مالي جديد لتمويل بناء مشروع الجسر القاري الاوراسيوي أو ما يسمى في آسيا اليوم "طريق الحرير الجديد". ونرى أن فيه ما يمكن للدول العربية أن تحققه اقتصادياً حتى تصبح جزءاً حيويا (بمعنى لا يمكن الاستغناء عنه في الاقتصاد العالمي) من العملية الاقتصادية العالمية. ولابد من أن نوضح باختصار الفكر الاقتصادي وراء هذه الاقتراحات والأفكار الصادرة منا. ولتوضيح موقفنا من علم الاقتصاد لأن هذا العلم قد دخلت عليه أفكار وفلسفات وتفسيرات لا حصر لها.

إن علم الاقتصاد ليس ما نراه على شاشات الفضائيات العربية من أرقام تصعد وتهبط في بورصة لندن ونيويورك، فسيرك الأرقام هذا لا علاقة له إطلاقا بمستوى الرفاهية الذي وصلت إليه شعوب أوربا وأمريكا الشمالية ودول جنوب شرق آسيا. علم الاقتصاد كما اختصره ليندون لاروش اختصاراً شديداً هو "زيادة سلطان الإنسان على الطبيعة وفي الكون" وفق المرسوم الإلهي الذي أعطى الله بموجبه بني آدم الخلافة في الأرض وزودهم بالعقل لاكتشاف أسرار الخلق وقوانين الكون لتسخيرها لخدمتهم كما يأمر الدين الإسلامي الحنيف، أو كما تقول المسيحية حتى يكون "الإنسان في صورة الإله الحية على الأرض". وللاطلاع على هذه النظرية بالتفصيل نشير الى كتابات لاروش وغيرها المتوفرة بلغات عديد، حتى نختصر المساحة في هذه المذكرة.

ونرى من واجبنا أن نطرح افضل الاقتراحات التي من شأنها، حسب دراستنا التاريخية للتطورات والنظم الاقتصادية العالمية، أن ترفع الشعوب العربية الى مستوى اقتصادي رفيع وتضعها على مسيرة التقدم الاقتصادي والعلمي التي سيشهدها العالم في هذا القرن الوليد. وقد انطلقت هذه المسيرة من الشرق هذه المرة. وعلى العرب أن لا يفوتوا فرصة اللحاق بهذا الركب واتخاذ الموقع الذي يليق بهم فيه باعتبارهم أصحاب وورثة إحدى أهم الحضارات في التاريخ البشري.

الوضع المالي والنقدي العالمي

يواجه عالمنا اليوم أزمة مالية - نقدية واقتصادية لا مثيل لها في التاريخ الحديث. علة هذه الازمة ظهرت بانهيار نظام "بريتون وودز" في عام 1971 على يد الرئيس الامريكي ريتشارد نكسون، لكن سبب اشتدادها في السنين الأخيرة هو أن حكومات دول مجموعة السبعة الصناعية وبنوكها المركزية ومؤسساتها المالية حاولت منذ اندلاع الأزمة المالية الآسيوية في صيف 1997 (التي بدورها نتجت عن مضاربات المضاربين الماليين وقراصنة العملة مثل جورج سوروس الذين دمروا عملات واقتصاديات دول جنوب شرق آسيا) حاولت سد الثغرة الحاصلة في هذا النظام بالتمسك بنفس المبادئ التي أدت بالأساس الى اندلاع الأزمة. هذه المبادئ هي التحول الجنوني من اقتصاد إنتاج واستهلاك السلع والخدمات الصناعية- الزراعية الى اقتصاد التجارة بالعملات الورقية والأوراق المالية دون أن يكون هناك رابط ما بين عملية الإنتاج والنظام المالي. فعلى سبيل المثال 99% من تجارة العملة اليومية في العالم لا علاقة لها إطلاقا ببيع وشراء السلع والخدمات. أما فيما يخص الأوراق المالية مثل اسهم الشركات والمشتقات المالية فإن قيمتها اليوم تتجاوز 400 ترليون دولار بينما لا يتجاوز مجموع الناتج القومي لكل أمم الأرض مجتمعة 40 ترليون دولار. وهذه المعاملات المالية تترتب عليها فوائد، وهي بحد ذاتها يمكن اعتبارها التزامات مالية أو ديون. فمن أين يتم سدادها ومن يأتي المال لضمان استمرار هذا النظام.

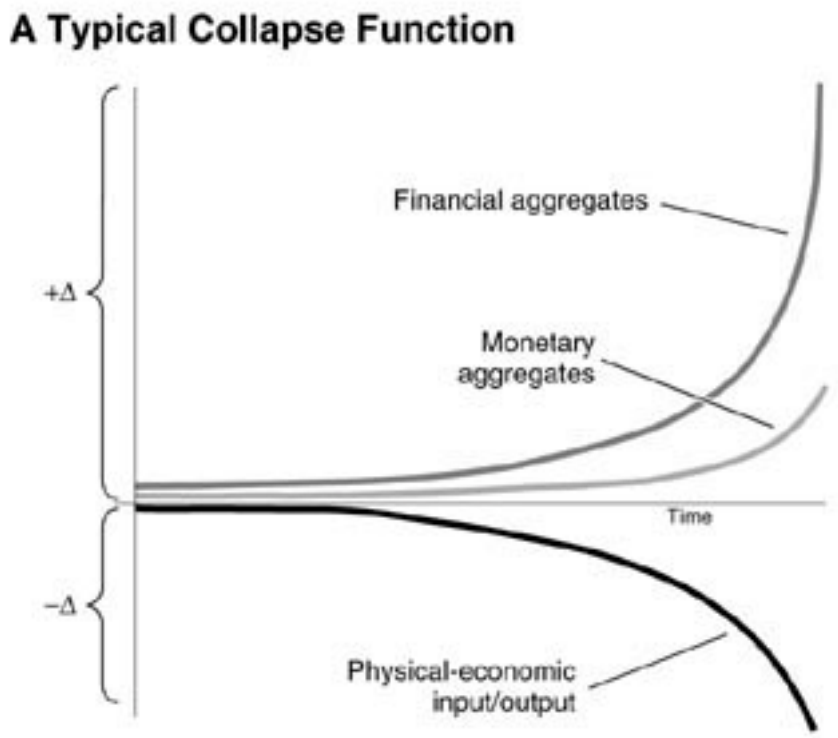

الحل البسيط الذي اتخذته دول مجموعة السبعة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية هو طبع الأموال وضخها الى الأسواق والبنوك، سواء أكانت أموالا ورقية أم إلكترونية. كما أصبحت الولايات المتحدة الملاذ الأخير لصادرات دول آسيا وغيرها من الأمم المنكوبة بالأزمة. واصبح لدى الولايات المتحدة عجزاً تجاريا أمام دول العالم وصل مستواه الى 600 مليار دولار عام 2000. وطوال تلك الفترة كانت الولايات المتحدة تسد هذا العجز عن طريق استثمار بقية شعوب العالم في السوق المالية الأمريكية "المزدهرة". ببساطة كانت أمريكا تعطي بقية العالم ورقاً مقابل الصادرات ويقوم المصدرون باستثمار ذات الورق في داخل أمريكا. كما تم في آخر عام 1999 طبع كميات خيالية من الدولارات بحجة الخوف من انهيار أنظمة الكمبيوتر في العالم عند التحول الى عام ألفين. لذلك قامت المصارف المركزية في العالم بطبع وتجهيز العملات لتوزيعها وتداولها يدويا في حال تعطل أجهزتها الإلكترونية. وجاء عام ألفين ولم تتعطل أجهزة الكمبيوتر. لكن الأموال التي طبعت في أمريكا لم يتم إتلافها بل تم ضخها للتداول في أسواق المال.

وقد خرج علينا "عباقرة" الاقتصاد الغربيين في العامين الأخيرين باختراع ما سمي "الاقتصاد الجديد". والمقصود بالاقتصاد الجديد هو المتاجرة باسهم شركات الاتصالات والهاتف والإنترنت وتقنية المعلومات والكمبيوتر. وسمي هذا الاقتصاد بالجديد لتمييزه عن الاقتصاد القديم الذي يتطلب كميات كبيرة من الطاقة والعمالة والهياكل التحتية والمواد الأولية، بخلاف الاقتصاد الجديد الذي معناه أن تحصل على المال الوفير دون أن تعرق. كل ذلك بضغطة زر.

وبالرغم من أننا لا ننكر المزايا التي تقدمها تقنيات الاتصالات الحديثة في النشاط البشري، إلا أن القول أن بالإمكان أن نعيل ستة مليارات إنسان عن طريق "المعلومات"، وان تقنية المعلومات يمكن أن تغنينا عن التنمية الصناعية والزراعية هو مجرد عملية سمسرة للبنوك والمؤسسات المالية. ولحسن الحظ، انهارت هذه الخرافة بانهيار اسهم هذه القطاعات الجديدة في آخر عام 2000 وبداية عام 2001 كما حذرنا.

باختصار، النظام المالي والنقدي العالمي والقائمين عليه قد أفلسوا فعليا ولم يبق سوى وضعه في إجراءات إفلاس قسرية من قبل الحكومات ذات السيادة وإعلان إنشاء نظام مالي جديد على أسس جديدة يكون هدف الاعتمادات والقروض المالية هو تحفيز النمو الاقتصادي الحقيقي وليس العكس. لذلك اقترح عالم الاقتصاد ليندون لاروش إنشاء نظام جديد سماه "بريتون وودز الجديد" يحتوي على النواحي الايجابية من النظام الذي انشأ عقب الحرب العالمية الثانية (لكن هذه المرة يجب أن يكون القرار فيه لجميع الأمم ذات السيادة وليس نادي المنتصرين في الحرب فقط) وإلغاء جميع الديون غير المشروعة. ويتطلب هذا ان يدعو الرئيس الامريكي الى انعقاد مؤتمر دولي يعلن فيه امام دول العالم ان النظام المالي الحالي نظام قاصر وينبغي بناء نظام جديد على أسس جديدة لإنقاذ أمم العالم من الكارثة الاقتصادية المحدقة بها. وضمن هذا النظام الجديد يتم تثبيت قيم العملات الوطنية على اساس سلة سلع، كما يجب ان تصدر الدول الصناعية اعتمادات وقروض بفائدة لا تتجاوز 1 أو 1 ونصف % وترتيب عقود تجارة طويلة الأمد بين الدول لتمكينها من المضي في عملية التنمية الصناعية والزراعية في العالم في سياق ما يسمى طريق الحرير الجديد أو الجسر البري الأوربي - الآسيوي. (الخريطة رقم 1)

Eurasia: main routes and selected secondary routes of the Eurasian Land-Bridge

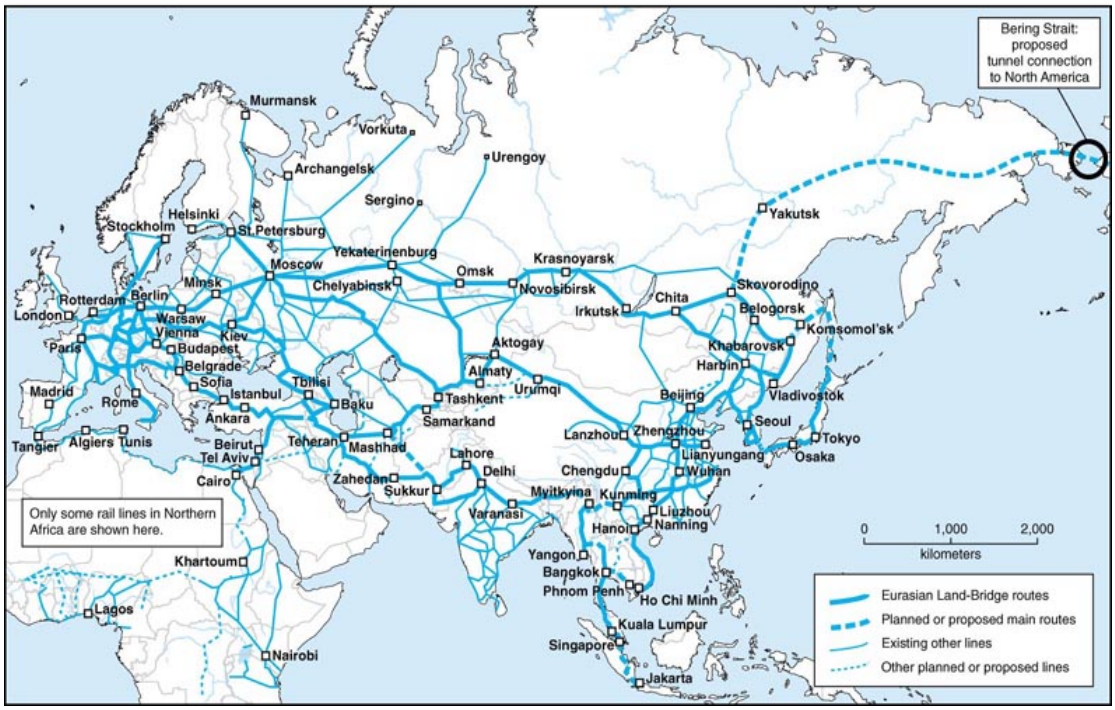

طريق الحرير طريق التنمية العالمية الجديد

كان طريق الحرير، الذي يمتد من أقاصي شرق الصين مروراً بآسيا الوسطى غرباً ـ أو الهند ـ وإيران والى شمال الجزيرة العربية وتركيا انتهاءً بأوربا، الشريان الرئيسي للتجارة العالمية وتلاقح الثقافات والأديان لأكثر من ألفى عام. وكانت اعظم الفترات في عمر طريق الحرير هي فترة عصر النهضة الإسلامي ما بين القرن الثامن والحادي عشر الميلادي ولغاية سقوط بغداد على يد المغول الغزاة عام 1258م.
إن بناء منظومة نقل أوربية ـ آسيوية على أساس إنشاء سكك حديد متطورة وعالية السرعة وطرق نقل ومشاريع مياه تمتد من الموانئ الأوربية على المحيط الأطلسي الى الموانئ الصينية في الشرق على المحيط الهادئ عبر الشرق الأوسط وأوربا الشرقية وإنشاء مراكز زراعية وصناعية على طول هذه الشبكة يمثل اكبر مشروع علمي إنمائي في التاريخ البشري يمكنه أن يحول اقتصاد العالم من وضعه الحالي الى وضع ارفع وأسمى يليق بالعنصر البشري الذي وهبه الله الخلافة في الأرض ليعمرها ويجعلها رمزاً لخلود العقل المبدع.

ممرات التنمية
إن غرض خطوط سكك الحديد وشبكات النقل هذه هو ليس فقط نقل البضائع والمسافرين بل لأنها يمكن أن تلعب دور جسر للتنمية و "شريانا" يغذي الأقاليم المختلفة التي يمر بها. فسكك القطارات ستشكل قلب ممر يمتد مسافة 150 كيلومتراً عرضاً (انظر الشكل 1). ويجتاز هذا الممر أغنى مناطق العالم بالمواد الأولية والصناعة والمراكز السكانية الكبرى والمناطق التي تقع ضمن مخططات التنمية للمياه والصناعة والزراعة واستخراج المواد الأولية. إن وجود سكك الحديد سيساعد على نقل الآلات والمكائن ذات التكنولوجيا المتقدمة الى تلك المناطق التي يتم تشييد المشاريع فيها من بلاد المنشأ سواء في أوربا أو شرق آسيا. كما يتم في نفس الوقت توفير وسيلة نقل اقتصادية وسريعة لنقل المواد الأولية والصناعات الثقيلة من والى مناطق التنمية.

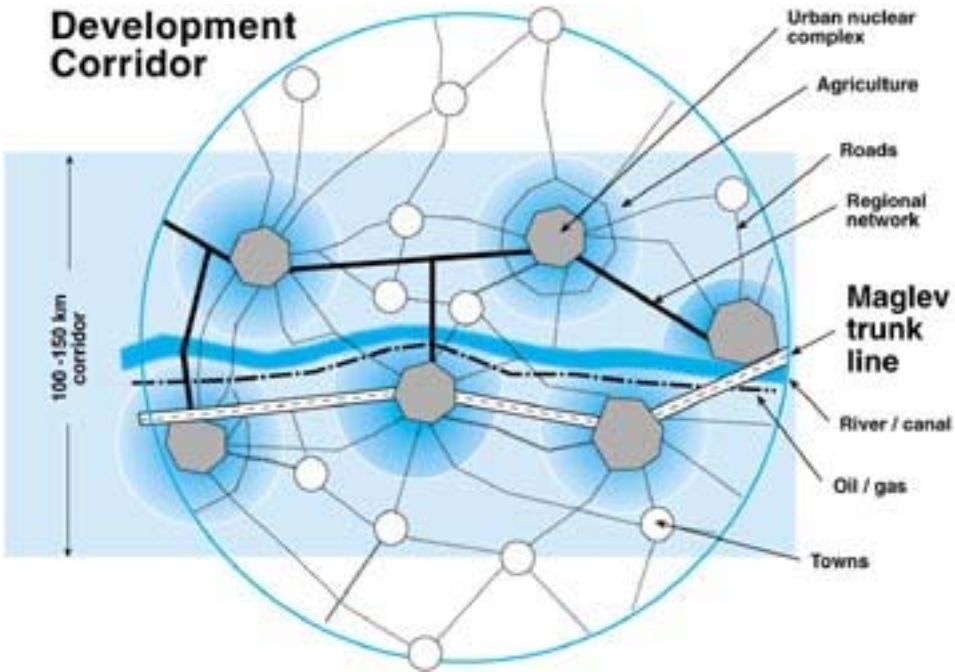

إن اكبر مشكلة تواجهها الدول النامية في مجالي التجارة الداخلية والخارجية هي انعدام البنية التحتية الفعالة لنقل منتجاتها ما بين الدول النامية ذاتها. وإذا ألقيت نظرة فاحصة على خطوط سكك الحديد والطرق العامة في قارة أفريقيا فسترى أن معظم الطرق مبني من داخل تلك الدول (من المناجم عادة) الى اقرب ميناء أو مخرج الى بحار العالم دون المرور بدولة جارة. إن هذا النظام يعطينا اصدق صورة عن طبيعة النظام الاستعماري القديم الذي أنشأته بريطانيا وفرنسا وهولندا، وكان الغرض منه نهب ثروات تلك الشعوب ومنع أي تعاون إقليمي ما بين الدول المستعمرة سواء في فترة الاستعمار أو ما بعدها. ومن ثم الق نظرة على أوربا الغربية بالذات، لترى الكثافة الهائلة للطرق وسكك الحديدية وقنوات النقل النهري وغيرها من مشاريع البنية التحتية المشتركة.
كيف يمكن للأمم الأفريقية أن تتحد ولا توجد حتى طرق بسيطة تربط ما بينها؟ وكيف يمكن للعرب أن يوحدوا كلمتهم " بمواجهة التحديات الخارجية" ولا توجد عندهم شبكة نقل توحدهم فيزياوياً؟

لذلك فإن من المتطلبات العاجلة للدول العربية هي البدء بمناقشة وتخطيط مشاريع تنمية البنية التحتية المشتركة ما بين الدول العربية في اقرب وقت ممكن. وان يبدؤوا بطرح أفكارهم بخصوص بناء منظومة عربية مشتركة لسكك الحديد والطرق ومشاريع المياه وتأسيس بنك عربي مشترك للتنمية يخصص 20-30 مليار دولار لتلك المشاريع وتنفيذها في اقرب وقت. كما يمكن تمويل المشاريع التي تساعد المكننة والخبرات الأوربية أو الآسيوية في إنشاءها بواسطة توقيع عقود "نفط مقابل تكنولوجيا" مع تلك الدول بدلا من التمويل النقدي المباشر. كما يفترض توطين رأس المال العربي المغترب. ولا يمكن الاعتماد على المؤسسات الدولية مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي لأنها، أولاً، غير قادرة أو غير راغبة في تمويل مثل هذه المشاريع، وثانياً لأن قروضها عادة ماتكون مشروطة بشروط تنتقص من السيادة القومية للدول.

ويمكن للدول العربية المضي في هذا الطريق على مسارين متوازيين:
1- طريق الحرير
2- خطة الواحة.

1- طريق الحرير
إن الشرق الأوسط بموقعه الجغرافي يقع في وسط هذا الجسر الأوربي - الآسيوي (الخريطة رقم 1)، وبالإضافة الى وجود اكبر خزين من المواد الأولية للطاقة، فانه ممر لمعظم التجارة الدولية. إذ تمر من بين بلاده عند قناة السويس والعقبة وباب المندب معظم المنتجات الأولية والمصنعة بين آسيا وأوربا، ويجب أن تستخلص الاستفادة القصوى الممكنة من هذه الخاصية. ولكن لكي يرتبط العرب بآسيا فلا بد أولاً من بناء جسر للعلاقات مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي أصبحت المفتاح للجسر الأوربي - الآسيوي بعد أن أدركت الحكومة الإيرانية أهمية ربط اقتصادها بمثل هذه الفكرة العملاقة وأهمية دورها فيها. وقد افتتح الرئيس الإيراني السابق هاشمي رفسنجاني - بمشاركة 12 رئيس دولة و 50 ممثلاً عن حكومات من مختلف أصقاع العالم ! - في 13 مايو 1996 خط سكة حديد يربط بين مدينة مشهد في الشمال الشرقي من إيران و واحة سرخس في تركمنستان (انظر الخريطة رقم 2)، وآخر من سرخس الى تاجان في تركمنستان حيث تمتد من هناك شبكة واسعة في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي السابق شمالاً والى الصين شرقاً. وبهذا تكون إيران فعلياً قد ربطت الصين واسيا بأوربا. إذ يرتبط نفس الخط بطهران العاصمة والى الشرق نحو تركيا حيث تقوم إيران وتركيا بتحديث الخط الواصل بين "تبريز" و "وان" في جنوب شرق الأناضول ومن هناك الى أنقرة واسطنبول وأوربا. أما من ناحية الجنوب الشرقي فان العمل يجري حاليا في إيران لبناء خط سكة حديد يربط الشبكة الإيرانية (واسيا الوسطى وأوربا عبر إيران) بباكستان. ويمتد هذا الخط المزمع إنشاؤه من مدينة كرمان الى زاهدان في الجنوب الشرقي عند الحدود مع باكستان. وعند اكتمال ذلك الخط ستكون إيران قد ربطت أوربا بشبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا.

Central Asia: existing and newly constructed railways

أما بالنسبة للدول العربية فنرى أنها فضلاً عن انقطاعها عن بعضها البعض، فإنها منقطعة عن آسيا برياً، إذ اغفل العرب حقيقة أن اكبر كتلة سكانية في تاريخ العالم توجد شرق البلاد العربية على مسافة 2000 الى 3000 كيلومتر شرقا من بغداد، وهذه مسافة يمكن أن يقطعها قطار عالي السرعة خلال اقل من يومين. إن اكبر سوق اقتصادية في عالم اليوم موجودة في تلك المنطقة وسيكون من عدم الحكمة أن لا يستغل العرب مثل هذه الفرصة التي توفرها إيران للربط ما بينها وبين تلك السوق الستراتيجية. لقد بدأ العمل في إيران منذ مدة لإنشاء خط سكك حديد جديد من طهران الى مدينة باختران (كرمانشاه) في غرب إيران ومن هناك سيستمر الخط الى مدينة خسروي على الحدود مع العراق (خريطة 2). وفي نفس الوقت يوجد في العراق حاليا خط سكة حديد يمتد من بغداد الى مقربة من الحدود الإيرانية عند مدينة خانقين على مسافة 200 كلم تقريبا شمال شرق بغداد. إن هذه فرصة ذهبية تتوفر للعراق ولإيران لفتح صفحة من التعاون الاقتصادي وطي صفحة الحرب السوداء. إن الهدف المعلن لبناء خط طهران - خسروي هو ربط العاصمة بالإقليم الذي يشمل مدينتي همدان وباختران اللتان تمثلان إقليما صناعيا ناشئاً حيث توجد صناعة الحديد والصلب والصناعات المتوسطة الأخرى التي تم ويتم إنشاءها في ذلك الإقليم، بالإضافة الى ربط الإقليم بالمنطقة الشرقية قرب الحدود العراقية الغنية بالنفط والغاز الذي يشكل عماد إنتاج الطاقة للصناعة الإيرانية الناشئة. أما الهدف الأكبر فهو ربط شرق آسيا واسيا الوسطى عبر العراق بالدول العربية.

أما بالنسبة للعراق وباقي الدول العربية فإنها ستكسب الكثير اقتصاديا وسياسيا عبر الدخول الى السوق الآسيوية. ولا يمكن لأحد أن يجادل فضائل مثل هذه الستراتيجية وفوائدها للاقتصاد العربي بالإضافة الى ما تجلبه من التعاون بين العرب وإيران لتوطيد الاستقرار السياسي والأمني. حتى من الناحية السياحية سيوفر إنشاء مثل هذه الشبكة المتطورة من خطوط النقل وسيلة نقل فعالة ورخيصة لمئات الملايين من المسلمين الذين يرومون زيارة المقدسات الإسلامية في العراق والجزيرة العربية وشمال أفريقيا. إن اكبر عدد من المسلمين لا يوجد في البلاد العربية بل في شرقها من إيران والى الصين. وستكون هذه المسألة من أهم العوامل لتوطيد وتقوية علاقات الاخوة والتعاون الحقيقي بين سكان الأمم الإسلامية الذين يشكلون خمس سكان الأرض. إن استقبال مئات الملايين من هؤلاء الزوار في الأراضي العربية الإسلامية وتوفير النقل والخدمات لهم سيكون من المشاريع الاقتصادية "السياحية" المهمة، حتى وان أخذنا بنظر الاعتبار محدودية دخل المواطن الآسيوي المسلم. كما سيؤدي ذلك الى تشغيل عشرات الآلاف من العرب في ذلك المجال بالإضافة الى مجال تطوير وصيانة بنية النقل تلك.

Southwest Asia: rail routes and nuclear energy projects

مساهمة "المثلث الإنتاجي"

أما من ناحية فكرة ربط العالم العربي بأوربا فان إنشاء "طريق الحرير" سيكون من أهم العوامل المشجعة للأوربيين للمساهمة في ذلك المشروع. لكن أهم شرط لتحقيق المقترحات المذكورة هنا هو تطبيق برنامج لاروش لتنمية البنية التحتية "للمثلث الإنتاجي" حيث تمثل مدن باريس وبرلين وفيينا زوايا ذلك المثلث الذي تتواجد فيه اكبر كثافة صناعية تكنولوجية على سطح الأرض. كما وإن مصير تنمية الشرق الأوسط مرتبطة بخلق "معجزة اقتصادية" في وسط أوربا عن طريق بناء منظومة متطورة من وسائط النقل من سكك حديد عالية السرعة وسكك قطارات ذات الرفع المغناطيسي (ماغليف) وغيرها.

لذلك يتوجب على أوربا القارية بالتعاون مع اليابان أن توفر هامش التكنولوجيا المطلوبة لتنمية الشرق الأوسط ويتضمن ذلك إنتاج وحدات توليد الطاقة التقليدية والنووية وتحلية المياه على نطاق واسع خلال الـ 15-20 سنة القادمة. ففي هذا السياق يجب تحسين كفاءة البنية التحتية للنقل بين شمال أفريقيا والشرق الأوسط الى منطقة المثلث الإنتاجي في أوربا. ويجب أن يتضمن ذلك ربط شمال أفريقيا بإسبانيا عند مضيق جبل طارق وبناء جسر من صقلية الى تونس وبناء خطوط سكك حديد حديثة الى اسطنبول والبحر الأسود.

ومن بين مكونات شبكة النقل هذه:

1) بناء طريق نقل عبر مضيق جبل طارق.

2) تمديد شبكة خطوط قطارات نقل السلع والركاب من وسط أوربا حول البحر المتوسط بهيئة دائرة مغلقة: عبر جبل طارق الى ساحل شمال أفريقيا وعبر قناة السويس الى فلسطين والأردن وسوريا ولبنان. ومن تركيا الى أوربا مجدداً.

3) إجراء عمليات تحسين شاملة لخطوط السكك الممتدة من تركيا الى العراق وإيران والى آسيا.

4) تطوير البنية التحتية في إقليم البحر الأسود تهيئة لتحسين خطوط السكك ونقاط الربط البحرية الى المراكز الصناعية في أوكرانيا، عن طريق "ذراع الدانوب" الى مركز أوربا والى منطقة القوقاز.

5) تحسين المواصلات البحرية وخطوط الأنابيب بين صقلية وتونس، والاحتفاظ بخيار بناء نفق تحت البحر مستقبلاً.

المشاريع العربية المقترحة

إن أحد أهم الأهداف في الوقت الراهن هو إكمال خطوط السكك والطرق السريعة على الخطوط الرئيسية التالية:

1- إسطنبول - الموصل - بغداد - البصرة - الكويت- الظهران (المنامة) - الدوحة - أبو ظبي - دبي - مسقط - صلالة - عدن ((خط برلين بغداد))

2- طهران - بغداد - حلب - دمشق (بيروت - طرابلس - صور) - عمان - الضفة الغربية - غزة - الإسكندرية ((قطار الشرق السريع))

3- بغداد - النجف - الحائل - المدينة المنورة - جدة((طريق زبيدة))

4- اسطنبول - حلب - دمشق - عمان - جدة - مكة - جيزان - الحديدة - مخا ((طريق الحجاز))

5- الإسكندرية - القاهرة - أسوان - الخرطوم - أديس أبابا - جيبوتي ((خط النيل))

6- الإسكندرية - طرابلس - صفاقس - تونس - الجزائر - وجدة - فاس - طنجة - الرباط. ((طريق المغرب))

7- كما يفترض تطوير خطوط العبارات البحرية عبر البحر الأحمر (جدة - بور سودان و مخا - عصب) والخليج (بندر عباس وجزيرة قشم الى كل من الإمارات العربية والبحرين وعمان) والبحر الأبيض المتوسط بين دول المغرب العربي وجنوب المتوسط.

وبالتوازي مع هذه الخطوط يجب بناء شبكة مشتركة لنقل الكهرباء ومن أنابيب غاز طبيعي ونفط بين هذه الدول. وقد وقعت مصر والأردن ولبنان وسوريا اتفاقاً لبناء شبكة نقل غاز من مصر. كما توجد شبكة نقل طاقة كهربائية بين هذه الدول. ويمكن تمديدها الى العراق وتركيا وإيران ودول الخليج. كما يتم بطبيعة الحال بناء مصافي نفط في المراكز العمرانية والصناعية الحيوية.

إن على دعاة الوحدة العربية أن يكملوا هذه المشاريع أولاً قبل إطلاق الخطابات وان يبذل المهندسون والفنيون العرب جهودهم ويستحثوا مخيلتهم في كيفية إنجاز هذه المشاريع. أما رأس المال العربي فيجب أن يسخر لإنجاز مثل هذه المشاريع وان يجعلها الأولية القصوى.

إن إنشاء هذه المشاريع وتوظيف طاقات الفكر العربي فيها سيكون الثورة التقنية العربية الكبرى حقاً في أواخر القرن العشرين في سبيل العبور نحو القرن المقبل قوة عالمية كبرى في مجال الاقتصاد والتكنولوجيا.

إن البدء بإكمال العمل على الجزء السوري الأردني من خط سكة الحجاز القديمة وربطها بوادي الأردن والمشاريع التنموية القائمة هناك متزامناً مع أعمال تطوير مينائي طرابلس وحيفا والعقبة سيخلق منطقة مشتركة للنمو الاقتصادي السريع. ومن شأن ذلك أن يحدد الأسس والمصالح المشتركة والصحيحة لفرض السلام العادل على إسرائيل. بالإضافة الى ذلك فان التعاون المباشر بين قناة السويس وميناء العقبة سيكون مفيداً لبناء منطقة تنمية ساحلية على الطرف الغربي للجزيرة العربية من العقبة والى جدة وعدن. وأن يقابلها على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر حزام تنمية من السويس والى جيبوتي. كما وان المشروع العملاق الذي افتتحه الرئيس المصري حسني مبارك في أكتوبر المتمثل ببناء قناة توشكي لنقل المياه الى منخفض توشكي في غرب وادي النيل هو نموذج مثالي للاستفادة من الثروات الطبيعية لإحداث ثورة اقتصادية في الشرق الأوسط. إن مشروع الوادي الجديد يعد بالكثير لمصر والشرق الأوسط إذ انه سيكفل الاكتفاء الذاتي من الغذاء لمصر، حيث ستتم زيادة استغلال الأراضي المزروعة من مصر من 4% الى 30% وهذه نقلة نوعية ستغير طبيعة المنطقة العربية وشمال أفريقيا اقتصاديا وسياسيا. كما وسيمكن بناء مدن بأكملها في الوادي الجديد ويجب ربط الوادي ببقية مصر بشبكة حديثة من السكك الحديد والطرق وشبكات الكهرباء والمواصلات. كما أن الوادي الجديد سيكون إقليما واعدا للصناعة أيضا على غرار مشروع "وادي تينيسي اوثورتي" في الولايات المتحدة الذي بدأه فرانكلن روزفلت في الثلاثينات ليحدث ثورة صناعية ويحول وادي تينيسي الى اكبر منطقة صناعية - زراعية في الولايات المتحدة. كما ويوجد مشروع استصلاح سيناء وتحويلها من صحراء الى ارض خضراء. وباكتمال مشروع قناة السلام سيمكن إضافة 400 ألف فدان من الأراضي الزراعية لاقتصاد مصر. وسيكون الامتداد الطبيعي غرباً من مشروع تنمية القطارة المصري والوادي الجديد هو بناء خط سكك حديد عبر المغرب العربي من الإسكندرية الى وهران وطنجة بموازاة ساحل البحر المتوسط. كما يجب بناء وصلة من خطوط السكك من النيل الى مشروع تنمية بحيرة تشاد في إفريقيا الوسطى. أما بالنسبة لمشاريع البنية التحتية للنقل والمياه المطروحة في السودان، فإنها بقليل من الدعم العربي والدولي ستحول السودان الى سلة الخبز العربي والأفريقي الموعودة.
كما وستكون نتيجة إنشاء خط عبارات بين جنوب إيطاليا وصقلية الى ميناء طرابلس، بالإضافة الى حفر نفقين عند جبل طارق ومضيق الدردنيل في شرق المتوسط (على نفس نموذج نفق القنال الإنجليزي بين فرنسا وبريطانيا) ، تأسيس ثلاث نقاط ربط من بنى النقل التحتية الحديثة بين الشرق الأوسط وأفريقيا والمثلث الإنتاجي المقترح.
وعموماً، يجب أن تكون خطوط السكك العربية ذات مسارين على الأقل ويجب تطويرها مستقبلاً الى ثلاثة وأربعة مسارات في سبيل توفير شبكات النقل المستقبلية التي ينبغي لها أن تعمر مائة عام. كما ينبغي أن تزداد أعداد السكك المشتغلة بالكهرباء وان يتم توسيع السكك من مقياس عرض 1000 ملم الى المستوى الأوربي بقياس 1,435 ملم الضروري لربط الشبكة الأوربية بالمغربية والعربية. فإذا تم إنجاز ذلك بدقة فان الاستثمارات المركزة على البنية التحتية للنقل، مع التشديد على ضرورة القطارات الحديثة والعالية السرعة، ستبني الأساس لمنطقة كبرى للتعاون بين أوربا وأفريقيا والشرق الأوسط الذي من شأنه أن يحول البحر المتوسط الى بحيرة للتنمية والسلام.

خطة الواحة: حرب ضد الصحراء
إن خطة الواحة كما حددها الاقتصادي الأميركي ليندون لاروش تشير الى برنامج واسع يشمل المشاريع المقترحة حالياً لمعالجة المياه والنقل ومشاريع أخرى، مضافاً إليها الاستخدام واسع النطاق للطاقة النووية والتقليدية في تحلية المياه، بالإضافة الى تأسيس مشاريع شق القنوات ونقل الطاقة وإيجاد مصادر جديدة للمياه العذبة في أرجاء الشرق الأوسط والمغرب العربي عن طريق إنشاء ممرات استراتيجية للتنمية على نطاق يمكن معه إضافة كميات من المياه لـ "انهار أردن" جديدة اصطناعية. وهذا يعني أن بوجود الإمكانيات الزراعية والصناعية وما يتعلق بهما من الهياكل التحتية الاجتماعية - الإسكان والمدارس والخدمات الصحية والمدن والمراكز الثقافية – يمكن إيجاد الدعامات الأساسية لتنمية وسلام دائمين.
إن ما نقدمه هنا هو صورة موجزة للمشاريع ذات الأولوية للمنطقة بالإضافة الى عرض موجز للسبل التي من شأنها أن توفر الوسائل الأساسية لتحقيق هذه المشاريع.

الطاقة لإنتاج المياه

لننظر أولا الى ما يمكن أن نفعله بالطاقة النووية. نأخذ حالة افتراضية: مستعمرة صناعية - زراعية في وسط صحراء في موقع غير مناسب لإيصال المياه إليها من مجموعة مشاريع إدارة مياه عذبة موجودة في الظرف الحالي. لكن هذا الموقع متاخم لمياه مالحة من البحر.
نأخذ في هذه الحالة عدد من وحدات مفاعلات نووية عالية الحرارة مبردة بالغاز (هاي تمبرتشر رياكتر) من النوع الذي يمكن إنتاجه اليوم في المانيا وروسيا والصين وافريقيا الجنوبية، ونضع هذه الوحدات في محطة توليد طاقة بإنتاجية 1-2 جيغاواط من الطاقة الكهربائية و 1-2 جيغاواط إضافية من الطاقة الحرارية. ثم نستخدم جزء من الناتج الكهربائي والحراري لتحلية مياه البحر لإنتاج كميات من المياه العذبة بمستوى 70 - 100 متر مكعب في الثانية. وبهذا تتوفر كمية من المياه العذبة الكافية لأغراض الري المحلية والاحتياجات الصناعية لمستعمرة زراعية - صناعية ذات اكتفاء ذاتي يبلغ سكانها مليون نسمة في وسط الصحراء! أما بقية الطاقة الكهربائية فنستخدمها في ضخ المياه بين البحر وموقع مستعمرتنا. ويمكن لوحدات أخرى من المفاعلات أن تغطي

حاجات المستعمرة للكهرباء ومتطلبات الصناعة والتبريد والتدفئة. وهذا المجمع المتمركز حول مصادر طاقة نووية بأكمله هو صيغة محدثة لمخططات صممت في أعوام الخمسينات وكان يطلق عليها مختصر "نيوبليكس".

إن عشرة مراكز كبرى لتحلية المياه باستخدام وحدات من هذه المفاعلات قادرة على إنتاج نسب من المياه العذبة تساوي في كمياتها انهارا طبيعية - نظام نهري من صنع الإنسان!

على سبيل المثال توجد في تصاميم شركة جنرال أتوميك لمحطات طاقة أربع وحدات (كل واحدة منها تنتج 135 ميغاواط من الكهرباء) مبنية تحت سطح الأرض وتعطي صافي إنتاج من الطاقة يقدر بـ 466 ميغاواط/ ساعة تستخدم في عملية تقطير ومضي متعدد المراحل لتحلية مياه البحر. يتطلب الأمر 22 وحدة من هذا النوع لتزويد كمية من المياه تساوي الكمية الحالية المقدرة بـ 3500 مليون متر مكعب من المياه الموجودة في حوض نهر الأردن. ويمكن اليوم بناء وحدات تحلية مياه بأكملها، بضمنها مصادر الطاقة النووية، ببساطة علي أحزمة التجميع في المصانع. ويمكن نقل هذه الوحدات الى مواقع التشغيل على منصات عائمة لغرض نقلها ونصبها بسرعة. إن التكنولوجيا المطلوبة ومعظم العمل في تطوير هذه الوحدات بكميات كبيرة موجود منذ سنين.

وحيثما توفرت مصادر الطاقة التقليدية مثل الغاز الطبيعي بقيمة منخفضة فيجب استثمارها للحد الأقصى. فالمملكة العربية السعودية التي تحلى 70% من احتياجاتها لمياه الشرب من البحر ضربت مثالا رائعا لمثل هذا النوع من المشاريع كما لا تزال لديها مشاريع كبرى أخرى قيد البناء أو التخطيط.

Selected infrastructure projects for Middle East development

الأنهار والبحيرات الاصطناعية

تتمركز أهم المشاريع في منطقة الشرق الأوسط حول مقترحات لبناء قنوات لربط البحر الميت أما بالبحر البيض المتوسط أو البحر الأحمر أو بكليهما ليصبح قناةً، حيث يمكن إنشاء وحدات تحلية مياه تشتغل بالطاقة النووية أو باستخدام انحدار المياه الى حوض البحر الميت لتوليد الطاقة الكهرومائية على طول تلك القناة لتوفر قاعدة لمصادر المياه ولتكون قاعدة الانطلاق الى ممرات للتنمية في المنطقة كلها. وتوضح الخريطة رقم 3 بصورة تخطيطية الطرق المحتملة لتلك القنوات.

كما توجد مشاريع نقل المياه مثل مشروع النهر العظيم في ليبيا الذي يوفر كميات هائلة من المياه لحاجات سكان المدن الليبية، أو مشروع نقل المياه من حوض الديسي في جنوب الأردن الى المدن الأردنية الكبرى. وتوجد خطط حالياً لنقل المياه من حوض نهر زائير الى بحيرة تشاد لتوفير المياه الضرورية لمنع جفاف البحيرة وتصحر المنطقة حواليها (وتوجد خطة متكاملة لهذا المشروع باسم "ترانس أكوا"). كما أن خططاً لاستغلال أقصى كمية من نهري النيل الأزرق والأبيض وتطوير مجاريهما لا تزال موجودة على لوحة التخطيط مثل مشروع قناة جونغلي في جنوب السودان.

ويمكن للمياه المالحة التي يجري تحويلها من البحار الى الأراضي أن تخدم مجموعة أغراض. أولا، تزويد محطات تحلية المياه والمصانع المختلفة الواقعة على أطراف القنوات بالمياه. ثانياً، توفر هذه القنوات طريق نقل. وثالثاً، تحسن هذه البحيرات دورة المياه في الجو كما أن لها فوائد هايدروستاتية للمياه الجوفية.

ويمكننا أن نبني مجمعات سكانية "نيوبليكس" على امتداد القنوات لتوفير المياه العذبة المطلوبة لمختلف الأغراض مثل الزراعة المحمية في الصحراء وتصنيع الأغذية وصناعة الكيماويات والتعدين والإسكان.
إن إنشاء مجموعة من المجمعات هذه في الأراضي الفلسطينية سيكون كفيلا بتحويلها الى قوة صناعية - زراعية مهمة في المنطقة نظرا للكثافة السكانية العالية في تلك المناطق ووجود القدرات البشرية ذات الكفاءة الفنية العالية القادرة على إدارة اقتصاد صناعي متطور. كما سيؤدي ذلك الى استقلال الفلسطينيين اقتصاديا وتفادي الضغط والابتزاز السياسي.
إن القابلية على تزويد المياه العذبة بالصورة المذكورة يتضمن فوائد مستقبلية لتحسن المناخ في المنطقة. إذ سيؤدي تبخر المياه من البحيرات والخزانات بالإضافة الى النتح من النباتات والمؤثرات الأخرى التي تنتج عن الزراعة المكثفة واسعة النطاق والمروية اصطناعياً في الصحراء الى تحسين عملية توليد الأمطار بدرجة كبيرة. وإذا اخذ بالاعتبار أن عملية توسيع وتنمية موارد المياه والزراعة ستزداد بالتوازي مع تزايد كميات الأمطار فان العملية هذه ستكتسب تعجيلاً ذاتياً. وستميل المناطق المتصحرة الى الاختفاء ليحل محلها مناخ متوسطي عندما تزداد كمية المياه في دورتها الطبيعية بين الجو والبحر والأرض وتزايد مساحة الحياة النباتية.
إن الموضوع المذكور أعلاه يمكن أن يوصف على انه حرب ضد الصحراء. الماء العذب هو الذخيرة الأساسية في المعركة، أما "الجنود على الجبهة الأمامية" فهم عمال البناء والمهندسون الذين يبنون القنوات والبلديات والمجمعات الصناعية وخطوط السكك والفلاحون الذين يعملون في البيوت الزجاجية والأراضي المروية التي "انتزعت" من الصحراء. أما في "الخطوط الخلفية" فيقف عمال الصناعات والمهندسون الذين يوفرون العدة اللازمة للحرب: الحديد والفولاذ والخرسانات الإسمنتية والأنابيب ومعدات إنتاج الطاقة وتحلية المياه والجرافات والجرارات والبيوت الجاهزة. وكل قطعة ارض جديدة يتم انتزاعها من الصحراء يجب تعزيزها واستعمارها وتحويلها الى قاعدة للتوسع. أما معيار القوة هنا فهو مقدار الطاقة الفائضة المفيدة التي يمكن تزويدها لكل كيلومتر مربع مقسمة على معدل السكان لاستخدامها في تكثيف النشاطات الزراعية والصناعية وبناء البنية التحتية. وكما هي الحال في الحرب التقليدية فان كثافة القوة النارية (الطاقة) تكون عامل الحسم. ففي وجه خصم كبير مثل صحراء شمال أفريقيا أو الجزيرة العربية سيكون من غير الحكمة عدم اللجوء الى اشد مصادر الطاقة كثافة؛ الطاقة النووية. إن القابلية على استخدام هذه "الأسلحة" ذات التكنولوجيا المتطورة يعتمد على مستوى التعليم والتدريب والإمكانيات العلمية لصيانتها وتحديثها.

خاتمة

لقد طرح ليندون لاروش خطة الواحة على بعض حكومات الشرق الأوسط في عام 1975 كأساس للسلام في المنطقة، وحذرها من أن عدم اتباع منهج تحقيق السلام عن طريق التنمية الاقتصادية المبنية على التعاون لإنجاز مثل هذه المشاريع التكنولوجية العملاقة وتحسين المستوى الحياتي لشعوب المنطقة، فان الشرق الأوسط سيكون ساحة للحروب بالنيابة عن القوى الكبرى ومسرحا لمؤامرات دولية لا مصلحة للعرب أو للإسرائيليين فيها. طبعاً لم يستمع الساسة في المنطقة لهذا المنطق، أما لانعدام البصيرة والثقة، أو لضغوط مورست عليهم من قبل أقطاب السياسة في أمريكا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي. وبقي الشرق الأوسط يخرج من حرب أهلية ليدخل في حرب إقليمية، مستنزفة الطاقات البشرية والطبيعية ليس لسبب سوى إدامة صراع لا معنى له لحساب قوى خارجية ومصالح غريبة لا ترى في تطوير اقتصاديات العالم الثالث وزيادة نسبة السكان فيه إلا تهديدا لأمنها القومي كما أشار مجلس الأمن القومي الأمريكي الذي اصدر مذكرة بإشراف هنري كيسنجر عام 1974 بعنوان: "مذكرة دراسة الأمن القومي رقم 200: تأثيرات النمو السكاني العالمي على الأمن القومي الأمريكي ومصالحه عبر البحار". وقد حدد عدة شعوب باعتبار نمو السكان فيها تهديداً وتضمنت القائمة دولة عربية هي مصر.
أما اليوم فان الأمة العربية وشعوب الشرق الأوسط تقف أمام نفس الامتحان برغم الجروح والصعاب التي خلفتها حرب الخليج الأخيرة وتدمير العراق عن طريق القصف الجوي والحصار الاقتصادي الظالم وتجويع شعبه في محاولة لتدمير إمكانياته وإلغاء دوره الإقليمي اقتصاديا وسياسياً بحجة "احتواء نظام بغداد".
لكن آلاف السنين من التاريخ تخبرنا أن مئات الحروب وآلاف الحكام وعشرات الإمبراطوريات مرت من هنا وداست حوافر خيلها على الحضارة وعلى البشر ودمرت مدنهم وأحرقت كتبهم وهدمت مدارسهم. لكن كالشمس تبزغ حضارة جديدة مع زوال الظلمة وانقشاع عاصفة الدخان والنار لتبني أمما وحضارات جديدة حاملة شعلة الفكر الإنساني الى أمام.

ملاحظات
لابد من الاشارة الى مجموعة من المشاريع التي بدء العمل على انشاءها فعلا وقد كتبنا عنها في مجلتنا الاسبوعية مثل:
- مشروع قطار الشرق السريع من مصر الى رفح وبناء جسر عبر قناة السويس الى سيناء. (قام قسم الدراسات الاسيوية التابع لكلية الاقتصاد في جامعة القاهرة بمجموعة دراسات وبحوث حول مشروع طريق الحرير الجديد وعقد مؤتمر في بورسعيد في عام 2000 لشرح ابعاد هذا المشروع وتأثيره على المصالح المصرية والعربية).
- عدة مشاريع سكك حديد في السودان وربط السودان باثيوبيا. كما ان دراسات جدوى قائمة حاليا لربط السودان بافريقيا الوسطى (طرحت هذه الافكار في ندوة نظمتها مؤسستنا في الخرطوم بالتعاون مع وزارة الاعلام السودانية ومركز الدراسات الستراتيجية بالخرطوم في شهر يناير 2001. وقد نشرت محاضر الجلسات في مجلتنا الاسبوعية).
- تمت دراسة الجدوى في عام 2000 في المملكة العربية السعودية لبناء شبكة سكك حديد تغطي جميع ارجاء المملكة من الخليج الى البحر الاحمر. ولم يتقرر موعد البدء بالتنفيذ بعد.
- تجري الان دراسة جدوى لبناء خط سكة حديد على الساحل الليبي لربط المدن الليبية الساحلية مع كل من مصر وتونس.
- تم مشروع الربط بين الموصل وحلب في صيف عام 2000. وكان قد سبقه بعام اعادة تشغيل خط اسطنبول - حلب، و سوريا - الأردن.
- وقعت ايران وسوريا في عام 2000 اتفاقية للنقل والترانزيت عبر شبكة سكك الحديد العراقية. ولايزال التفاوض جارياً بين الاطراف الثلاثة لتنفيذ الاتفاق.
- تنفذ المملكة المغربية بالتعاون مع الصين مشروعاً تجريبياً في جنوب البلاد لتحلية المياه باستخدام الطاقة النووية. ويتم بناء مفاعل تجريبي بطاقة 10 ميغاوات.
- كما اشرنا اعلاه، قامت مصر والاردن وسوريا ولبنان بالبدء بتنفيذ مشروع شبكة نقل الغاز الطبيعي بينها. كما كانت قد فرغت من تنفيذ مشروع الربط الكهربائي.

***

ملحق رقم 6:

مذكرة إلى مؤتمر القمة العربي المنعقد ببيروت في مارس عام 2002 توضح خطورة الوضع الاستراتيجي والاقتصادي العالمي بعد أحداث 11 سبتمبر وأهمية تبني استراتيجية عربية موحدة وفق الأفكار المطروحة في المذكرة السابقة.

مذكرة مفتوحة إلى مؤتمر القمة العربية ببيروت 2002
لا شيء أقل من قول الحقيقة سينقذ العرب والعالم
"الإمبراطور الأمريكي ليس عليه ثياب!"

An Open Memorandum to the Arab Leaders' Summit in Beirut March 2002
Nothing Less Than Telling the Truth Would Save the Arab nations and the World!
"But The American Emperor Has Nothing On!"
March 22, 2002

تتناول هذه المذكرة المفتوحة النقاط التالية:
1) ماذا وقع في الحادي عشر من سبتمبر 2001. إرهاب أم انقلاب؟
2) دور السياسات العسكرية النازية لحكومة أريل شارون الدكتاتورية العسكرية كصاعق لصراع الحضارات.
3) حقيقة الوضع العسكري والاقتصادي والسياسي في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وإسرائيل.
4)المخرج من عصر مظلم جديد يلف المجتمع الإنساني.
5) دور الحكومات والشعوب العربية في حوار الحضارات والسلام العالمي ونظام اقتصادي عالمي عادل وجديد.
الملحقات:
أ) تصريح لاروش حول الممارسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية بعنوان "نهاية العالم في فلسطين".
ب) تصريح لاروش حول احتمالات توجيه ضربة عسكرية ضد العراق بعنوان "الله وحده يعلم!"

1) مرت ستة شهور منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر على نيويورك وواشنطن ولم تفلح حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وأجهزتها الأمنية والاستخباراتية إلى اليوم في تقديم دليل ملموس واحد مهما صغر حجمه على ادعائها أن أسامة بن لادن ومنظمة القاعدة المنزوية في كهوف أفغانستان المقفرة هم من خطط ونفذ تلك الهجمات. بينما تثبت جميع تطورات الأحداث صحة ما ذهبت إليه خدمتنا الأخبارية **EIR** ومؤسسها عالم الاقتصاد الأمريكي ليندون لاروش **Lyndon LaRouche**، الذي ينوي ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة الأمريكية لعام 2004، منذ اليوم الأول إلى أن ما حدث هو ليس عمل إرهابي فليس بمقدور بن لادن أو القاعدة أو أية منظمة أو حكومة أجنبية القيام به، بل هو محاولة انقلاب تستهدف تغيير السياسة الأمريكية ودورها في العالم بشكل دراماتيكي ومدمر. وأكد لاروش ما يلي: 1) من خطط ونفذ هذه الهجمات لا بد أن يكون عنصرا مارقا من داخل المؤسسة العسكرية والأمنية الأمريكية ذاتها، وهذا لا يعني بالضرورة تورط الإدارة والرئيس الأمريكي الذين اتضح أنه كان مستهدفا ذلك اليوم سواء نفسيا أو جسديا. 2) الهدف من الضربة هذه هو وضع سياسات منظري "صراع الحضارات" و "الإمبراطورية الأنجلو- أمريكية الرومانية الحديثة" موضع التنفيذ في صراع بين التحالف الأمريكي – البريطاني - الإسرائيلي وبقية شعوب العالم بدءا من الأمم الإسلامية والعربية. 3) تزامن وقوع هذه الهجمات مع المرحلة الأخيرة لعملية الانهيار الشامل للنظام المالي والنقدي العالمي السائد منذ عام 1971، وأن هذه الأحداث شكلت مخرجا عسكريا للأسر والمؤسسات المالية الأوليجاركية العالمية التي بدأت تفلس بانهيار نظامها المالي والمصرفي وبدأت تفتش عن وسيلة بديلة لبسط سلطانها على العالم.
بالرغم من أننا لا نملك الأدلة القاطعة على النقطة الأولى لأننا لا نمثل المؤسسات الأمنية والاستخباراتية الأمريكية ولا نمتلك قدراتها، بل أن مسؤولية تقديم هذه الأدلة تقع على عاتق الحكومة الأمريكية نفسها وعلى مؤسساتها، إلا أننا نرى حقيقة النقطة الثانية والثالثة تسطع سطوع الشمس في جميع تحركات المسؤولين الأمريكيين وصانعي السياسات ووسائل الإعلام الأمريكية والبريطانية وفي بحوث وتقارير المؤسسات البحثية والجماعات الضغط.
لقد عرضنا بالتفصيل في صفحات مجلتنا الأسبوعية والتقارير والكتب الخاصة الصادرة من عندنا مؤخرا بهذه الأحداث أسماء الأشخاص والمؤسسات والمنظمات ذات الميول الطوباوية الفاشية التي كانت نشطة في تهيئة الوضع السياسي والاستراتيجي لغاية وقوع تلك الهجمات والضالعة في الاستفادة من الوضعين السياسي والنفسي الذين خلقتهما هجمات 11 سبتمبر. ويبدو أن شخصيات مثل هنري كيسنجر وزبيجنيو بريجينسكي وصامويل هنتنجتون وبيرنارد لويس وجيمس وولزي وآخرين خارج الإدارة و ريتشارد بيرل وبول وولفوويتز داخل الإدارة ومؤسسات بحثية (ثينك تانكس) مثل معهد بحوث السياسة الخارجية ومعهد اولين ومعهد كاتو ومجلس العلاقات الخارجية ومركز الدراسات الستراتيجية والدولية وسميث ريتشاردسون فاونديشن واولين فاونديشن وميلون سكيفي فاونديشن وجماعات اللوبي الصهيوني المتمثلة في "مجموعة ميجا" المتهمة بتمويل وإدارة شبكة التجسس الإسرائيلية داخل الولايات المتحدة وتمول وتدعم نشاطات مجموعة كبيرة من "مراكز البحث" الإسرائيلية وصنع القرار في واشنطن مثل معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى والمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي وأميريكان إنتربرايز إنستيتيوت ولجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية، نقول أن هؤلاء الأشخاص والمؤسسات ومن لف لفهم ووسائل الإعلام المتحالفة معهم قد تحولوا من المقعد الخلفي إلى المقعد الأمامي لتوجيه السياسة الخارجية والعسكرية للولايات المتحدة منذ الحادي عشر من سبتمبر الماضي. وهذا هو الجواب على "من المستفيد" من تلك الهجمات.

2) كان التهديد بإشعال "صراع حضارات" وحرب دينية ثلاثينية قائما حتى قبل هجمات 11 سبتمبر، بسبب سياسات حكومة شارون تجاه الفلسطينيين وتهديدها في صيف عام 2001 بتوسيع المواجهة لتشمل عدة دول عربية وإسلامية مثل سوريا والعراق وإيران حيث ستحاول إسرائيل استخدام أسلحة تقليدية لكن تحت مظلة التهديد باستخدام أسلحتها الذرية وجر الولايات المتحدة خلفها إلى حرب شاملة ضد الشعوب الإسلامية وربما ضد روسيا والصين أيضاً. فشارون وقيادة جيشه واليمين المتطرف الإسرائيلي بالرغم من أن لديهم أيديولوجية إرماجيدونية انتحارية فإنهم يبقون أداة بيد القوى الانجلوأمريكية ومجموعة ميجا الصهيونية. ومن دلائل "الفكر الانتحاري" لشارون وقادة جيشه هو قيامهم بتطبيق الممارسات العسكرية للقوات الخاصة بالحزب النازي الألماني ضد الغيتو اليهودي في وارسوا ضد الفلسطينيين تطبيقا حرفيا، مدركين تمام الإدراك أنهم يفعلون ذلك غير آبهين برد الفعل الإسرائيلي الداخلي أو العالمي. ويبقى خطر توسيع الصراع الإسرائيلي الفلسطيني ليشمل دولا عربية وإسلامية أخرى قائما خاصة إذا تزايدت الضغوط على شارون أو أعطي ضوءا أخضر من الولايات المتحدة.
إن مبادرة ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز حول السلام العربي الإسرائيلي إضافة إلى الحملة العربية الدبلوماسية والتضامنية مع العراق وفتح الحوار بين العراق والأمم المتحدة بشان عودة المفتشين الدوليين قد يسحب البساط مؤقتا من تحت القيادة الإسرائيلية ومن تحت ادعاءات الولايات المتحدة وبريطانيا والذرائع التي تتحججان بها أمام الرأي العام العالمي لتبرير ضرب العراق. وسيؤدي قبول العراق بعودة المفتشين، خاصة إذا تم إعلان ذلك في مؤتمر القمة، إلى أزمة علاقات عامة بين الولايات المتحدة ودول العالم. في مثل هذه الحالة قد يتم استخدام شارون لفتح النار على العراق كذريعة لتبرير دخول أمريكا في هجوم عسكري على اكثر من دولة عربية وإسلامية بذريعة الدفاع عن إسرائيل.
على العرب أن لا يوهموا أنفسهم بأن القضية هي خلاف بين الرئيس العراقي صدام حسين والإدارة الأمريكية أو مسألة ديمقراطية أو دكتاتورية أو إزالة أسلحة دمار شامل. فما فعله صدام حسين وما سيفعله أو ما لن يفعله لا يرتبط بالموضوع لا من قريب ولا من بعيد. القضية هي تصميم قوى

معينة في الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل على إعلان الإمبراطورية الرومانية الجديدة وفرضها على العالم وخلق "صراع حضارات" كمبرر للوصول إلى ذلك الهدف. وهي مستعدة حتى لاستخدام السلاح النووي ضد شعوب آمنة لتحقيق ذلك.

4) على عكس ما كان يشاع عن صحة الاقتصاد الأمريكي في السنين الخمسة الأخيرة وعن "النمو الأبدي" لاقتصاد ثورة الاتصالات الأمريكية وثورة المعلومات وغيرها من الأقاويل التي دفعت مستثمري العالم وحكوماتهم إلى ضخ آلاف المليارات من الدولارات إلى السوق الأمريكية، كان "الاقتصاد الفعلي" الأمريكي يحتضر. البنية التحتية الأساسية الأمريكية وصناعاتها التقليدية والخدمات الصحية والتعليم هي في حالة انهيار منذ أكثر من عشرين سنة. وآخر مثال على ذلك هو صناعة الحديد والصلب. وفقا لإحصائيات "اتحاد عمال الصلب في أميركا" فإن 32 شركة صلب أمريكية قد أعلنت إفلاسها منذ عام 1997 ومن ضمنهم عملاقي صناعة الصلب "بيثليهيم ستيل" و "إل تي في"، وأن 17 من هذه الشركات قد تمت تصفيتها. كما أن حوالي 46700 فرصة عمل قد فقدت في هذا القطاع منذ يناير 1998. أحد رؤساء اتحاد عمال الصلب الأمريكي صرح أمام مظاهرة لعمال الصلب في 20 فبراير أن 100 ألف من مجموع 600 ألف من عمال قطاع الصلب المتقاعدين قد فقدوا مساعداتهم الصحية. أما الباقون فقد يفقدون جميع معوناتهم التقاعدية إذا لم يتم إنقاذ الشركات التي كانوا يخدمون فيها. بحلول 31 مارس ستتوقف المساعدات الصحية لخمسة وثمانين ألف متقاعد من الذين كانوا يعمل في شركة "إل تي في" المفلسة.
في مواجهة هذا الوضع لم تعد حكومة الولايات المتحدة والكونجرس الأمريكي الذين يشنون "حربا عالمية ضد الإرهاب" قادرين على التظاهر بالصحة الاقتصادية وأهم صناعاتهم مهددة بالانقراض. لذلك فقرار فرض تعريفة جمركية على واردات الصلب جاء كرد فعل على والواقع المزري الذي تعيشه إحدى أهم الصناعات الأمريكية. ولا نريد أن نتوسع في الموضوع ونذكر أزمة الطاقة في كاليفورنيا وانهيار شركة اينرون الذي يعكس دجل الدجالين حول صحة الاقتصاد الأمريكي. ولا نذكر أمثلة كثيرة من بريطانيا التي تجاوزها العالم الصناعي وليست قادرة حتى على تسيير شبكة سكك الحديد في البلاد. أما إسرائيل فقد استنزفت الانتفاضة طاقاتها الاقتصادية والمالية وانفجار فقاعة "الاقتصاد الجديد" وعصر المعلومات أودى بقطاع كبير من صناعة المعلومات والالكترونيات الإسرائيلية. فحسب تقديرات المحللين الإستراتيجيين، ليس بمقدور الولايات المتحدة اقتصاديا ولوجستيا خوض أكثر من حرب متوسطة واحدة على جبهة واحدة فقط.
أما على الصعيد السياسي فإن الولايات المتحدة أصبحت شبه معزولة في العالم وداخليا تواجه أزمات اقتصادية كبيرة. الحكومة البريطانية قد تسقط قبل ان تتمكن من إسقاط الحكومة العراقية بسبب المعارضة الداخلية الشديدة لسياسات رئيس الوزراء توني بلير. أما حكومة شارون الإسرائيلية التي انكشفت سياساتها الإجرامية أمام العالم باعتبارها سياسات عسكرية فاشية أثارت حتى اشمئزاز قسم كبير من المجتمع الإسرائيلي واليهودي في العالم وتواجه عصيان عسكريا بين صفوف قواتها المسلحة فقد فقدت كل مصداقية أمام الرأي العام العالمي، بينما أثبتت المقاومة الفلسطينية عجز الآلة العسكرية الإسرائيلية "الأسطورية" في تحقيق أي انتصار على الشعب الفلسطيني على الأرض.
تحاول وسائل الإعلام الأمريكية الترويج لثلاثة أمور خدمة لسياسات المجموعات المذكورة أعلاه. هذه الأمور الثلاثة هي: أ) أن الاقتصاد الأمريكي بدا بالانتعاش بعد "ركود بن لادن". ب) أن الجيش الأمريكي قد حقق انتصارا عسكريا في أفغانستان. ج) أن الولايات المتحدة هي الإمبراطورية الرومانية الجديدة وستضرب العراق شاء العالم أم أبى وستستخدم الأسلحة النووية ضد "الدول المارقة" إن اقتضى الأمر، ومن المستحسن لأوربا أن تساند هذه الإمبراطورية أو تلتزم الصمت. كل هذه النقاط الثلاثة هي أكاذيب، المطلوب من ترويجها، مثلما حصل مع "التسريب" المتعمد لوثيقة البنتاجون حول "حالة التأهب النووية" الأمريكية، هو تخدير الشعب الأمريكي أولا وإرهاب شعوب وحكومات العالم الأخرى ثانيا وإبلاغها أن قطار الإمبراطورية الجديدة قد انطلق وأصبح أمرا واقعا لن يمكن لأحد أن يوقفه ومن يقف في الطريق سيسحق. بهذا تكون هذه القوى قد كسبت الحرب النفسية وأصابت جميع المعارضين بالإحباط واليأس.
هنا لا بد ان نذكر بقصة الكاتب الدنماركي الساخر هانس كريستيان أندرسن "ثياب الإمبراطور الجديدة". في تلك القصة يقوم نصابان (من نوع كيسنجر وروبرت كابلان الذين يحيطون بالرئيس الأمريكي اليوم) بالتنكر في شخصية خياطين ويقنعان الإمبراطور المغرور المعجب دائما بمظهره بأنهما سيخيطان له ثوبا جديدا لكنه سيكون مسحورا ميزته أن من لا يراه من الوزراء والعامة فهو مغفل ولا يصلح للموقع الذي يحتله ويجب أن يعاقب او يطرد من منصبه. حتى الإمبراطور نفسه كان يخشى أن ينظر إلى الثياب الجديدة لأنه إن لم يتمكن من رؤيتها فهذا يعني أنه لا يصلح لأن يكون حاكما. لذلك بدا الجميع يتظاهر برؤية الثياب "الرائعة"، خوفا من أن يتم اتهامهم بالغباء ويطردوا من مناصبهم. حتى جاء اليوم الذي فرغ فيه الخياطان النصابان من عملهما وحصلا على مكافئات ثمينة، خرج الإمبراطور الفخور عاريا أمام شعبه مزهوا "بالثياب" الجديدة، والناس يطلقون عبارات الإعجاب بها وجمال ألوانها ودقة تصميمها. وعندما حلت لحظة صمت صاح أحد الأطفال من بين الجمهور قائلا: "لكن الإمبراطور ليس عليه أية ثياب!". فهمس كل واحد من الجمهور في أذن الآخر بما قاله الولد الصغير ثم صاحوا جميعا بصوت واحد: "لكن الإمبراطور ليس عليه ثياب".
ما أشبه هذه الصورة بما يحدث في البيت الأبيض! فالرئيس بوش يسمع كلام من حوله بأن الولايات المتحدة قد أصبحت إمبراطورية لا تقهر وتحارب الشر، ثم يردد هو ذلك الكلام لنفسه وفي الأخير يصدقه، ويفرض على الجميع تصديقه.
لا يمكن للمجتمع الإنساني الخروج من هذا المأزق إلا بقول الحقيقة، وأن يتصرف تصرف الطفل العفوي لكن الصادق. لذلك، لربما على القادة العرب المجتمعين في بيروت أن يقولوها مجتمعين أو أن يختاروا واحدا من بينهم حتى يخرج من بين الجموع ويقول لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية: يا سيادة الرئيس: إنكم لستم إمبراطورا وأمريكا ليست الإمبراطورية الرومانية، بل أنتم رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية التي حارب من أجلها الآباء المؤسسون وضحى عشرات الآلاف بدمائهم في الثورة على الاستعمار البريطاني وفي الحرب الأهلية حتى تصبح الولايات المتحدة "شعلة للأمل وقلعة للحرية". إننا ندرك المأزق الذي تم إيقاعك به منذ الحادي عشر من سبتمبر، لكننا لن نقبل بأقل من كشف الحقائق أمام العالم حول ما حدث وما يمكن فعله حتى نتدارك الموقف ونبحر بسفينة المجتمع الإنساني إلى بر الأمان دون حروب أو سفك دماء لان الولايات المتحدة نفسها ستكون من الخاسرين. أما إذا بقيتم تصرون على كونكم إمبراطورية فلا نطلب منكم إلا مراجعة التاريخ حتى تعرفوا ماذا حل بالإمبراطوريات الغابرة وما خلفته ورائها من دمار وعصور ظلام. أما دعاة الإمبراطورية فينبغي أن يكون مكانهم خلف القضبان أو في أحسن الأحوال في المصحات العقلية.
ليس أمام العرب ما يخسرونه إذا وقفوا وقفة شجاعة. أما إذا استسلموا "للأمر الواقع" وتم تدمير العراق فالدور سيأتي على دولة أخرى وهكذا. وقد تم الإعلان عن أسماء الدول العربية والإسلامية المستهدفة مقدما. أما بالنسبة للدول العربية التي تحس بأمان نسبي بسبب علاقاتها الخاصة مع الولايات المتحدة ما علينا إلا أن نذكر بما كتبته كبرى الصحف الأمريكية مثل وول ستريت جورنال التي طالبت بإسقاط العائلة الملكية السعودية واحتلال آبار النفط في الخليج. الفرصة سانحة الآن للفعل، فالولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل في أضعف حالاتهم على عكس النقيق العالي الذي يصدرونه. كل ما هو مطلوب هو الصوت المجازي للصبي الصغير، وذلك لمصلحة العالم ولمصلحة الولايات المتحدة والغرب. المطلوب المزيد من التحركات في هذا الاتجاه، كما فعل الرئيس الإيراني السابق والرئيس الحالي لمجمع تشخيص مصلحة النظام في إيران عندما وقف في صلاة الجمعة في طهران يوم 8 مارس آذار واستشهد بأقوال لاروش حول أحداث الحادي عشر من أيلول وذكره بالاسم. كما ذكر أسماء العتاة المارقين من أمثال هنري كيسنجر وبريجينسكي ومخططاتهم. وحذر الإدارة الأمريكية من مغبة الدخول في حروب غير مجدية في الخليج، وذكرها بأولويات المجتمع العالمي التي هي محاربة الركود الاقتصادي والفقر والتعاون من أجل التنمية الاقتصادية وخلق فرص العمل للشعوب وتوفير الطمأنينة والأمان الاجتماعي والاقتصادي لها.

5) لقد طرحنا أمام القمة العربية السابقة في عمان مجموعة مقترحات "لسياسة اقتصادية عربية موحدة في سياق نظام عالمي وطريق حرير جديدين" أشرنا فيه إلى حقيقة الوضع الاقتصادي والمالي العالمي الذي ازداد تدهورا بنهاية العام 2001 ولا يزال ذلك الوضع قائما ولا تزال تلك المقترحات قائمة وقد تم نشرها في أكثر من صحيفة عربية وعلى مواقع الانترنيت وأرسلت إلى جميع الحكومات العربية ومؤسسات البحث المعنية. المقترحات تدعو الحكومات العربية إلى السعي الحثيث والفعال في مطالبة دول العالم الصناعية بضرورة مراجعة النظام المالي والنقدي القائم. إن هذا النظام الذي بدأ العمل به منذ عام 1971 عندما قرر الرئيس ريتشارد نكسون إلغاء نظام بريتون وودز السابق وفتح الأبواب أمام "نظام التجارة الحرة" وأسعار الصرف العائمة قد وصل إلى طريق مسدود. إذ تحول اهتمام المؤسسات المالية والنقدية والمصرفية العالمية ورجال الأعمال من بناء الاقتصاد العالمي وزيادة إنتاجية القوى العاملة ورفاهية الشعوب إلى محاولة الحصول على أكبر قدر من الأرباح بأقل جهد أو استثمار رأسمالي حقيقي طويل الأمد. وكانت المضاربة في أسعار العملات والسلع والأسهم الطريق الأسهل إلى ذلك وتحول الاقتصاد العالمي بحلول نهاية التسعينات إلى كازينو قمار هائل باسم "العولمة"، بينما أحيلت الكيانات الاقتصادية في العالم النامي

وخاصة أفريقيا إلى حطام. وأهملت الاستثمارات في البنية التحتية الأساسية والتعليم والصحة ليس في العالم النامي وحده فحسب بل وحتى في الولايات المتحدة وأروبا. أما فقاعة المضاربات المالية العالمية التي بلغ حجمها 10 مرات حجم الناتج الإجمالي المحلي لجميع أمم الأرض مجتمعة، فهي مهددة بالانفجار وليست هناك أية جهة مالية أو مصرفية في أي ركن من العالم قد فكرت في بديل.

من هذا المنطلق شن ليندون لاروش حملة عالمية لتأسيس نظام "بريتون وودز جديد" على أنقاض النظام الحالي. وقد لاقى اقتراحه ترحيبا في بعض الأوساط السياسية والاقتصادية في العالم وكان آخرها مشروع قرار تقدم به عدد من أعضاء مجلس الشيوخ الإيطالي ومن أبرزهم رئيس الوزراء السابق جوليو اندريوتي يطالب الحكومة الإيطالية بالعمل على حث دول المجموعة الصناعية على تأسيس نظام مالي جديد باسم "بريتون وودز الجديد" كمخرج من الأزمة المالية والاقتصادية الحالية.

أهم أعمدة هذا النظام الجديد سيكون تثبيت أسعار الصرف للعملات الوطنية ومنع المضاربة فيها لغرض الربح وإلغاء الديون أو تجميدها وتوقيع اتفاقيات ثنائية أو جماعية طويلة الأمد (25-30 سنة) بين دول العالم وخلق آلية تقديم اعتمادات مالية وقروض ذات نسبة فائدة ضئيلة وطويلة الأمد موجهة بصورة رئيسية نحو بناء البنية التحتية الأساسية مثل الطرق وسكك الحديد وقنوات المياه وتوليد الطاقة وتحلية مياه البحر (في حالة الدول التي تعاني جفافا مزمنا) والصحة والتعليم وغيرها من المشاريع التي لا يمكن بدونها بناء أي اقتصاد حقيقي في أية دولة في العالم. ويمكن أن يندرج ضمن هذه اتفاقيات "نفط مقابل تكنولوجيا" بين الدول العربية المصدرة للنفط والدول الصناعية يتم تبادل النفط على أساسها بالمنتجات الرأسمالية والمساعدة في بناء البنية التحتية الصناعية والزراعية. ويمكن تحديد وتثبيت أسعار الطاقة بحيث تكون عادلة للمنتج والمستهلك على حد سواء. هذا سيصب في الواقع في خدمة المصالح القومية للولايات المتحدة والدول الغربية إذا أرادت أن تكون عاملا اقتصاديا أساسيا في العالم ولتبني علاقات ودية مع بقية الدول وتضمن أمنها وأمن مصالحها الاقتصادية في أرجاء العالم. هذا ما فعلته الولايات المتحدة نفسها بعد الحرب العالمية الثانية وشرعت في تنفيذ خطة مارشال التي ساعدت أوربا الغربية واليابان على إعادة بناء اقتصادياتها التي خربتها الحرب وأدى ذلك إلى فتح أسواق جديدة للصناعة الأمريكية وتجارة رائجة بينها وهذه الدول.
المطلوب الآن خطة مارشال عالمية.

خطة مارشال العالمية هذه موجودة ومتمثلة في المشروع الذي طرحه لاروش والعاملون معه في بداية التسعينات وهو ربط القارات الثلاث أوربا وآسيا وأفريقيا عبر "جسر بري" مكون من شبكات النقل الحديثة. يسمى هذا المشروع في آسيا بالاسم الشائع "طريق الحرير الجديد" الذي يمتد من أقصى شرق الصين إلى أقصى غرب أوربا في هولندا على ثلاثة خطوط الخط السيبيري الممتد عبر الأراضي السيبيرية في شرق روسيا إلى أوربا الشرقية وخط ثاني من غرب الصين إلى آسيا الوسطى حيث يتفرع شمالا وجنوبا نحو روسيا ونحو إيران وتركيا وأوربا الشرقية وخط ثالث من الصين عبر جنوب شرق آسيا وشبه القارة الهندية إلى إيران والعراق ثم سوريا وتركيا وأوروبا الشرقية. وبما أن العالم العربي يقع جغرافيا بين ثلاث قارات فإن استفادته من ذلك المشروع ينبغي أن تكون استفادة قصوى. ويمكن دمج الوطن العربي في شبكة سكك حديد وطرق وخطوط كهرباء وأنابيب نفط وغاز ومياه على عدة محاور من العراق جنوبا نحو الخليج وبقية شبه جزيرة العرب ومن العراق شرقا نحو سوريا والأردن وفلسطين ثم جنوبا من الأردن إلى المملكة العربية السعودية واليمن وغربا نحو مصر والسودان والمغرب العربي. هذه الاقتراحات التي تتضمن استثمارات كبيرة جدا في مجال توليد الطاقة وتحلية المياه هي جزء من "خطة الواحة" التي اقترحها لاروش للسلام والتنمية في الشرق الأوسط.

حوار الحضارات لا تصارعها:

يمكن اعتبار هذه المشاريع الاقتصادية جزءا من حوار حضارات بين الشرق والغرب والشمال والجنوب على أساس عملي وعلمي. ولكن لا يمكن الاعتماد على النواحي المادية فقط في رسم معالم الطريق الذي ينبغي أن يسير عليه المجتمع الإنساني نحو السلام والأمن والرخاء وتحقيق مبادئ العدل على الأرض على أساس مبدأ الاستخلاف. إن الأمة العربية والإسلامية التي تعتبر جسرا بين الحضارة اليونانية وعصر النهضة الأوربية من جهة، وبين الحضارتين الصينية والهندية القديمتين والأوربية الحديثة من جهة أخرى، وصاحبة إحدى أعظم الحضارات الإنسانية تتحمل مسؤولية كبرى في نشر فكر التسامح والتآخي والمحبة بين شعوب العالم ودياناته السماوية. لكن عليها أن تدرك مدى الوهن والهبوط الذي أصاب المجتمع العربي والمسلم من قمة مجده، وأيضا أن تفهم فهما عميقا مدى الانحطاط الثقافي والأخلاقي الذي أصاب المجتمعات الغربية. فلا الدول المسيحية هي مسيحية بمعنى الكلمة ولا الدول المسلمة هي كذلك. لذلك ينبغي التعمق في البحث عن الهوية الحقيقية لهذين المجتمعين وغيرهما، ولا بد من البحث عن بعض المبادئ المشتركة التي يمكنها أن توحد رسالات الشعوب المختلفة، لا أن يكون الحوار ليبراليا نسبيا أو وضعيا حيث هنالك الآراء المختلفة فقط التي لا توصل إلى نتيجة وحيث لا مكان للمبادئ والأخلاقيات الكونية المشتركة التي ينبغي أن تجمع كل العنصر الإنساني حولها مهما اختلفت الشرائع وطرق العبادة والممارسات الاجتماعية والدينية.
تأسيس المبادئ المشتركة للحوار هو البند الأساسي في موضوع حوار الحضارات وهو ما نادى إليه الرئيس الإيراني محمد خاتمي في خطابه في الأمم المتحدة عام 2000 وطلبه تسمية عام 2001 "عام حوار الحضارات". ذات الدعوة وجهها ليندون لاروش في مؤتمر "حوار الثقافات من أجل التنمية والسلام في وادي النيل" الذي عقد في العاصمة السودانية الخرطوم في بداية عام 2001.
لذلك ينبغي أن يخرج القادة العرب بمبادرة قوية في هذا الشأن من القمة المنعقدة في بيروت. لكن يجب أن لا ينسوا النقطة المهمة: بدون قول الحقيقة لن يحدث التغيير.
***

الملحقات التابعة إلى المذكرة المرفوعة إلى مؤتمر القمة 2002

أ)

Goetterdaemmerung in Palestine

نهاية العالم في فلسطين*
ليندون لاروش
30 يناير 2002

على شخص ما أن يبرز من بين الجموع حتى يتم وضع حد لهذا الرعب المحتدم في الشرق الأوسط. في اللحظة الراهنة تشكل الجهود الإسرائيلية الرامية إلى استئصال الفلسطينيين صاعقا لحرب دينية وعرقية محتملة ومستمرة تشمل العالم كله. ولن تكون أية أمة أو أي شخص في مأمن من هذه الحرب.
ولأسباب عديدة فإنني قد انتُخِبت في اللحظة الراهنة لأقول علنا وأمام الجميع ما ينبغي أن يقال بصوت عالي وبوضوح إذا كان المطلوب منع ارتكاب جريمة ضد الإنسانية، بخلاف ما حصل من قبل عندما لم يتم إيقاف الجريمة المشابهة المتمثلة بغيتو وارشو (الحي اليهودي في العاصمة البولندية).
إن العمليات التي تنفذها قوات الدفاع الإسرائيلية في أراضي السلطة الفلسطينية هي أحسن نسخة يمكن للتاريخ إيجادها للعمليات النازية التي نفذت في المدة بين 19 أبريل و 16 مايو عام 1943 ضد الحي اليهودي في وارشو. فالحقائق الدالة على ذلك واضحة جدا. الشيء الوحيد الذي لم يحسم لحد الآن كان مسألة وجود إثباتات مادية صلبة أم لا على حقيقة أن المسؤولين الإسرائيليين المعنيين كانوا على وعي تام بالتشابه الرهيب بين أفعالهم الحالية والأحداث التي تم وصفها في الوثائق الشهيرة التي تم تقديمها في محكمة نورنبيرج (لجرائم النازيين) المعروفة باسم "تقرير ستروب" "Stroop Report".

حسب الوثائق المشار إليها هنا، فإن تقرير ستروب كان في الأصل قد تم تأليفه من قبل جنرال الشرطة النازي ستروب الذي كان قائدا عاما للعمليات ضد غيتو وارشو. وحسب الوثيقة المقدمة كان التقرير الأصلي "تقريرا في 75 صفحة يسجل العمليات يوما بيوم وتم تقديم هذا السجل لهاينريش هيملر. وقد عرض هذا التقرير لأول مرة من قبل القاضي الأمريكي روبرت جاكسون. كان عنوان التقرير "لا يوجد شيء اسمه غيتو وارشو بعد الآن". وبالإمكان مطالعة النص الخاص بالتقرير الذي أشير إليه في مكتبة مازيل والتقرير التاريخي للهولوكوست الموجود في موقع الانترنيت -www.holocaust-history.org/works/stroop-report

إن الرابط بين هذه الأفعال والنيات وراءها قد اتضح لي من خلال تقرير صدر بعنوان "على أبواب ياسرجراد" كتبه أمير أورين في الطبعة الإنجليزية للصحيفة الإسرائيلية هاريتس الصادرة يوم 25 و 27 يناير. يتضح من أدلة أخرى تؤكد صحة النقطة الأساسية في تقرير هاريتس هذا أن ليس هنالك من شك في أن الأفعال الحالية التي ترتكبها قيادة قوات الدفاع الإسرائيلية تعبر عن نية هؤلاء المسؤولين في استخدام المناطق الفلسطينية من أجل تكرار التأثيرات المشابهة بشكل أساسي لعمليات الإبادة التي ارتكبت بين 19 أبريل و 16 مايو 1943 ضد غيتو وارشو. الشيء الوحيد الذي تغير هنا هو فقط أسماء الضحايا.

إن تقرير صحيفة هاريتس على درجة قصوى من الأهمية بحد ذاته. فهو يعكس تعبيرا متناميا عن رعب يشعر به كل إسرائيلي عاقل من أي حزب كان إزاء إمكانية استمرار إسرائيل في ارتكاب جرائم مثل تلك التي يتم ارتكابها تحت مظلة حكومة أريل شارون. فرغما عن أنف شارون والقيادة الحالية للجيش الإسرائيلي يبدو أن التراث اليهودي لم يمت بعد في إسرائيل نفسها.

في هذه الحالة يكون من غير الأخلاقي انتهاج سبل محافظة مثل اتباع ممارسة النميمة العامة الأمريكية المعتادة التي تتخذ محاولات تشدقها المقززة بالأخلاق شكل تداول سري للإشاعة التي تقول أن الجيش الإسرائيلي قد عبر عن مثل هذه النية. على شخص ما أن يقف ويتكلم بوضوح بالأصالة عن نفسه ويقول "إنني أتَّهم!" ويشير بإصبعه إلى الجريمة وإلى الإجرام المعني. يظهر لحد الآن أن الحكومة الأمريكية الحالية لن تقوم بذلك. ويظهر أيضا أن أيا من المتحدثين الرسميين باسم أي من الحزبين الجمهوري والديمقراطي لن يقول "أنا أتَّهم".

لذلك علي أنا أن أتولى تلك المهمة.

علينا أن نكون واضحين في هذه القضية. إن جوهر نية هذه الدوائر في الجيش الإسرائيلي لارتكاب جريمة كهذه ضد الإنسانية هي ليست ظاهرة إسرائيلية بحد ذاتها. فعلينا أن ندرك أن أكثر الدوائر العسكرية والستراتيجية الطوباوية جنونا في داخل الولايات المتحدة الأمريكية مثل أولئك الذين يشاركون زبيجنيو بريجينسكي الرأي وصامويل هنتنجتون هم في واقع الأمر فاشيون عالميون علنا. وقد أسس هؤلاء مفاهيمهم حول السياسة العسكرية وشؤونها بشكل مباشر على نموذج الشرطة العسكرية للحزب النازي Waffen-SS .

لكن مع ذلك علينا أن لا نضع اللوم على الشرطة العسكرية النازية المنحلة التي لا يخشى منها الآن. كما سبق وذكرت من قبل، فإن كل أنواع الفاشية الحديثة وتأثيرها في صياغة السياسات العسكرية قد تم تأسيسها بناء على نموذج خصائص نظام الإمبراطور نابليون بونابارت وابن أخيه. وكما وثقت لهذه النقطة في مقالات سابقة، فإن النموذج الأصلي للفاشية يوجد بالضبط في الموقع الذي أشار إليه نابليون ومقلدوه بينيتو موسوليني وأدولف هتلر، ألا وهو تراث قياصرة روما وألوية الجيوش الرومانية.

إن الحرس القيصري الروماني والشرطة العسكرية النازية هما جوهر عقيدة هنتنجتون الشنيعة التي يمكن تسميتها بالاسم التقني الدقيق "الفاشية العالمية".

يجب أن لا تكون هناك أية ميوعة في تعريفنا للفاشية. هنالك طبعا أصداء لنفس هذا التراث العسكري الإمبريالي الروماني في محاكم التفتيش الإسبانية وبضمنها إزالة اليهود من إسبانيا التي كانت سابقة نموذجية لغيتو وارشو وأيضا العمليات المشابهة التي ترتكب حاليا بحق الفلسطينيين. لكن مع ذلك، فإن النازية المعاصرة لنابليون وموسوليني وصديق موسوليني فلاديمير جابوتينسكي وادولف هتلر والدوائر المحيطة بمؤسسة سميث - ريتشاردسون ومن يشاطرونها الرأي والمتملقين لها هي نوعية متميزة من الظواهر. إن أهم تعبير لهم في الولايات المتحدة يمكن إيجاده في الدوائر المرتبطة بالعقائد العسكرية والستراتيجية "الرومان - طبقية" وفي أوساط حلفاء بريجينسكي وهنتنجتون وجماعة ناشفيل أجرايانز للبروفيسور الراحل وليام ياندل إليوت.

صحيح أن تصرفات الجيش الإسرائيلي تعكس موروثا فاشيا يهوديا مثل تراث فلاديمير جابوتينسكي، لكن مع ذلك فإن هذه المورث ما كان ليصل إلى درجة العمليات العسكرية التي نشهدها اليوم ما لم يكن هؤلاء الإسرائيليون ومن مشى معهم مسيرين ومستغلين من قبل جهات قوية جدا ذات توجهات طوباوية مثل العقائد الفاشية الدوغمائية لبريجينسكي وهنتنجتون ضمن الأمريكتين وأوربا. فالشرق الأوسط يتم استخدامه كصاعق لحرب دينية وطائفية عالمية، لكن القنبلة التي يرتبط بها هذا الصاعق تقبع بشكل رئيسي في داخل المجال الأنجلو - أمريكي نفسه. فإذا تم تنظيف عشنا القذر في العالم المتحدث بالإنجليزية فإن الخطر الآتي من الشرق الأوسط سيمكن احتوائه.

أما إذا انفجر هذا الصاعق بالشكل الذي يهدد به الآن، خاصة وأن العالم كله اليوم يواجه الفصل النهائي والأخير للانهيار النقدي والمالي، فإنك أيها الجالس في الولايات المتحدة لن تكون لك أية فرصة حتى في التمني بأن تجتاز هذه الأزمة بسلام.

شاركوا معي! أوقفوا هذا الرعب الذي تنشره حكومة شارون طالما أن هنالك فرصة لاتقائه. واجهوا العالم بالأدلة الواضحة حول النوايا البشعة الكامنة وراء جرائم حكومة اريل شارون.

***

ب)

تصريح حول خطط ضرب العراق

Only God Knows!

ليندون لاروش

الله وحده يعلم!

28 فبراير/ شباط 2002

طالما أنني أنقل إليك ما يتم الحديث عنه صراحة في الدوائر السياسية والعسكرية والمالية في معظم أرجاء العالم، فإن عليك أيها القارئ تقبل لجوئي إلى استخدام لغة بسيطة وشائعة الاستخدام حتى تتمكن من استشعار نكهة ما يقوله هؤلاء الحمقى لبعضهم البعض.

لا تدع استخدامي لبعض الكلام الخشن يغشك. فالقضايا التي اطرحها هنا هي قضايا جدية جدا واكثر عمقا مما يمكن لجمهرة عباقرة المؤسسات الحكومية والبحثية أن يفهموه. أبدأ أولا بالكلام الخشن ثم أعرج وأركز على الدليل القوي الذي يثبت أنهم حقا حمقى يثرثرون بعد أن أسكرهم صنف زبيجنيو بريجينسكي من الإستراتيجيات الجنونية الطوباوية المصنوعة منزلياً.

بعيدا عن الكلام المزدوج، أقول بالبساطة التي كان سيستخدمها فرانسوا رابيليه لو كان مكاني، أن هؤلاء المجانين حول العالم قد أنهكوا أنفسهم باجترار "أحلامهم المبتلة" حول الهيمنة الإمبريالية الأمريكية على كل العالم الذي أثقلته الأزمات والمفلس في الأساس. الله وحده يعلم ما سيقود إليه ذلك، إذا لم تتم السيطرة على هؤلاء المجانين!

الخطة الحالية هي تنفيذ خطة بريجينسكي - هنتنجتون - بيرنارد لويس لشن حرب عالمية للسيطرة على العالم بدءا من العراق. الخطط الحالية تشير إلى أن الهجوم على العراق سيقع في نهاية الصيف الحالي إن لم يقع قبل ذلك. القضية هي ليست العراق. فصدام حسين ليس هو القضية. المغفلون السخفاء فقط الذين يصدقون هراء مراسلة "سي أن أن" كريستيان أمانبور يعتقدون أن ما فعله العراق وصدام حسين أو ما يمكن أن يفعله أو ما لا يفعله هو القضية. القضية هي إشعال شرارة الحرب العالمية الجديدة. لكي تُحدث انفجارا عليك إيجاد صاعق مناسب. لقد وقع الاختيار على الهجوم على العراق لكي يكون الصاعق المناسب.

تلك هي الكرة المجازية. لا تدعها تغيب عن عينيك. أي كلام عكس ذلك فهو ثرثرة تمويهية تنشرها وسائل الإعلام والمؤسسات البحثية لتشويش أعضاء الكونجرس وغيرهم من المغفلين.

بادئ ذي بدء، انظر إلى حملات القصف الأخيرة على أفغانستان البلد القليل السكان والمتحول إلى جحيم بسبب القصف في الحروب السابقة. كم من الناس هم من البلاهة إلى حد تصديق أن الولايات المتحدة الأمريكية قد فازت في حرب هناك أو أن البلد تحت سيطرة الحكومة أو أنه ليس على وشك الانفجار مجددا؟ لنطرح السؤال بصيغة أخرى: هل أخضعت الولايات المتحدة الأمريكية هذا البلد فعلا؟ أو، ألم تدمر إمكانياته كاقتصاد وطني ليس لأي غرض إلا إنتاج وتصدير كميات هائلة من المخدرات؟ إن العباقرة الستراتيجيين المزعومين الذين جاءوا بمثل هذا النوع من أساليب الحرب قد تجاهلوا كل درس من الدروس السياسية الاقتصادية المتعلقة بطرق خوض الحروب عبر التاريخ الإنساني كله إلى اليوم. هذا هو نوع العباقرة الذين اعتقدوا أن شركة اينرون وما يسمى "الاقتصاد الجديد" هما موجة المستقبل. كم من الطاقة سيتم إنتاجها من أجل التصدير من اقتصاد قد تم تدميره ماديا؟

في هذه الأثناء، دراكيولا وحده، الذي يتخفى أحيانا في هيئة رئيس بنك الاحتياط الفيدرالي ألان جرينسبان، سيستمر في ترديد وعوده بانتعاش اقتصادي في منتصف الليل للمغفلين السائرين ورائه.

بعد أن قلنا ذلك، ألق نظرة على الواقع الاقتصادي لمحصول الأحلام المبتلة الاستراتيجية للمحاربين العالميين.

إن تعليقي المقتضب على غباوة الموقف الرسمي في واشنطن ولندن في ظل حكم بلير هو التالي. إن الخاصية المميزة للطوباوية الستراتيجية في مرحلة ما بعد الجنرال ماك آرثر كانت ولا تزال محاولة فصل المسائل الستراتيجية عن تلك المتعلقة باقتصاد الولايات المتحدة والعالم كما كان الرئيس فرانكلن روزفيلت يعرف تلك العلاقات على سبيل المثال. إن المثال الذي يميز الإستراتيجيات المهووسة الخطرة لهؤلاء الطوباويين هو إصرار هنري كيسنجر على تجاهل دروس اتفاقية ويسفاليا لعام 1648.

خذ مثالا واحدا على هذه المشكلة، وهو دور تطوير وسائل تحلية المياه وإنتاج الطاقة في الشرق الأوسط. إن النقطة الأساسية في غباوة مفاوضات كلنتون - باراك - عرفات في كامب ديفيد كانت استبعاد قضايا التنمية الاقتصادية الإقليمية والبرامج الكبرى لتحلية المياه من المناقشات منذ البداية. كانت طريقة كلنتون محكوم عليها بالفشل من البداية. إن الواجبات التي التزم بها كلنتون تجاه رئيس الوزراء باراك، وكأنه أحد زبائنه، شوشت رؤيته ودفعته إلى التغاضي عن حقيقة أن مسئوليته في تلك المفاوضات كانت العمل وفقا لمصلحة الولايات المتحدة وكممثل لها.

كانت مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية ولازالت اليوم تكمن في ضمان صيغة دائمة لسلام حقيقي في الشرق الأوسط وليس الفوز بغنيمة دبلوماسية قصيرة العمر للرئيس. لقد كتبت مرارا محذرا من هذا الخطأ في طريقة الرئيس ولكنه لم يستمع لكلامي، ولذلك فشل. لقد وقع كلنتون، كما وقع باراك، في شرك الطوباوية، شرك السياسات التي لا تولي أي اعتبار لمبادئ الاقتصاد الفيزيائي التي تعتبر الأساس الذي لا يتغير لأي منظور لإحلال سلام في أية حالة مشابهة أخرى. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن باراك كان يشعر بمسدس الجيش الإسرائيلي موجها إلى مؤخرة رأسه أثناء المفاوضات، فإن كلنتون وليس عرفات هو المسؤول الحقيقي عن فشل تلك المفاوضات. إننا ندفع اليوم ثمن حماقة كلنتون.

لا بد من الاعتراف بأن عددا قليلا جدا من المفكرين الستراتيجيين العسكريين في مجتمعنا المعاصر قد أتقنوا المبادئ المؤسسة لعلم الاقتصاد بينما جميع القادة العظماء والمفكرين الإستراتيجيين من ليوناردو دافنتشي وماكيافيلي وإلى القادة العسكريين الذين سبقوا مدة الخمسينات من القرن العشرين في الولايات المتحدة كانوا مدركين بشكل حاد لرؤية أهمية دور الهندسة العسكرية للقضايا اللوجستية باعتبارها أساس أي تخطيط ستراتيجي كفء. بصعود الجناح الطوباوي في جيشنا حل تعليم الأنواع المريضة لعلم الاجتماع وعلم النفس محل المؤهلات التقليدية لتقاليد كلية ويست بوينت العسكرية West Point التي وضعها سيلفانوس تايير Sylvanus Thayer. إن أتباع هذه التعاليم المريضة غير المجدية "للعمليات العسكرية الخاصة" الذين هم اليوم في موقع المسؤولية عن وضع السياسات العسكرية الطويلة الأمد هم وراء التركيز الحالي لاستهداف العراق.

إن أولئك الذين لديهم رغبة جادة في متابعة هذه النقطة عليهم أن يدرسوا بشكل دقيق مقالتي الأخيرة "علم الاقتصاد: عند نهاية وهم" ("Economics: At The End of Delusion." موجود باللغة الإنجليزية فقط على الموقع: www.larouchein2004.com) الحكومات العاقلة ستحاول قراءة تلك المقالة بانتباه شديد، وإلا فإن جملة "عند نهاية وهم" ستكون مناسبة لتوضع على شواهد قبورها.

سيكون هنالك المزيد لنقوله قريبا حول هذا الموضوع المهم.

***

نهاية المذكرة المفتوحة إلى مؤتمر القمة العربي في بيروت 2002

***

نهاية الوثيقة الداعية إلى دعم تأسيس نظام بريتون وودز جديد

حسين العسكري